



كَلَامُ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (1)

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَالِيٍّ الْبَصْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّدُوسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْمُنْهَالِ سُؤَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ سُؤَيْدِ بْنِ مَنْجُوفٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَلَغَ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَنَاسًا نَالُوا مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فَبَعَثَتْ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ، فَعَدَلَتْ وَقَرَعَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: «أَبِي مَا أَبِيهِ، لَا تَعْطُوهُ الْأَيْدِي، ذَاكَ -وَاللَّهِ- حِصْنٌ مَنِيفٌ (2)، وَظُلٌّ مَدِيدٌ، أَنْجَحَ (1) إِذْ

(1) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، أفقه النساء مطلقاً، وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة، ففيهما خلافة شهر، وأهل التحقيق كالإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنه: «سُئِلَ عَنْ خَدِيجَةَ وَعَائِشَةَ أُمِّي الْمُؤْمِنِينَ؛ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: سَبَقَ خَدِيجَةُ وَتَأْثِيرُهَا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَنَصَرُهَا وَقِيَامُهَا فِي الدِّينِ لَمْ تُشْرِكْهَا فِيهِ عَائِشَةُ وَلَا غَيْرُهَا مِنْ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَأْثِيرُ عَائِشَةَ فِي آخِرِ الْإِسْلَامِ، وَحَمْلُ الدِّينِ، وَتَبْلِيغُهُ إِلَى الْأُمَّةِ، وَإِدْرَاكُهَا مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ تُشْرِكْهَا فِيهِ خَدِيجَةُ وَلَا غَيْرُهَا مِمَّا تَمَيَّزَتْ بِهِ غَيْرُهَا». ثم قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتأمل هذا الجواب الذي لو جئت بغيره من التفضيل مُطْلَقاً لَمْ تَخْلُصْ مِنَ الْمَعَارِضَةِ». «بدائع الفوائد» (3/ 684). وقد تُوقِّتُ أُمُّنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة سبع وخمسين على الصَّحِيح. انظر ترجمتها في: «تقريب التهذيب» (ص 750)، و«تهذيب التهذيب» (12/ 461). (2) منيف: طويل في ارتفاع.



أَكْدَيْتُمْ⁽²⁾، وَسَبَقَ إِذْ وَنَيْتُمْ⁽³⁾، سَبَقَ الْجَوَادُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمْدِ، فَتَى قُرَيْشٍ نَاشِئًا،
وَكَهْفَهَا كَهْلًا⁽⁴⁾، يَرِيشُ⁽⁵⁾ مُمْلَقَهَا⁽⁶⁾، وَيَفُكُ غَانِيَهَا⁽⁷⁾، وَيَرَأُبُ⁽⁸⁾ صَدْعَهَا، وَيُلْمُ
شَعَثَهَا⁽⁹⁾، حَتَّى حَلَّتْهُ قُلُوبُهَا، وَاسْتَشْرَى⁽¹⁰⁾ فِي دِينِهِ؛ فَمَا بَرَحَتْ شَكِيمَتُهُ فِي ذَاتِ
اللَّهِ - عز وجل - حَتَّى اتَّخَذَ بِفَنَائِهِ مَسْجِدًا، يُحْيِي فِيهِ مَا أَمَاتَ الْمُبْطِلُونَ، وَكَانَ - رَحْمَةً
اللَّهِ عَلَيْهِ - غَزِيرَ الدَّمْعَةِ، وَقَيْدَ الْجَوَانِحِ⁽¹¹⁾، شَجِيَّ النَّشِيجِ؛ فَانْصَفَقَتْ⁽¹²⁾ عَلَيْهِ

(1) أُنْجَحَ: أَيْسَرَ وَأُعْطِيَ.

(2) أَكْدَى الرَّجُلُ يَكْدِي إِكْدَاءً: بَخِلَ، وَأَمْسَكَ عَنِ الْعَطَاءِ، أَوْ قَلَّلَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي

تَوَلَّى ﴿٣٢﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾﴾ [النجم: 33، 34].

(3) وَتَى فِي الْأَمْرِ: ضَعُفَ وَقْتَرُ، وَكَلَّ وَأَعْيَا؛ قَالَ تَعَالَى: (وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي ﴿٤٤﴾) [طه: 42].

(4) الْكَهْلُ مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي جَاوَزَ الثَّلَاثِينَ.

(5) رَاشَهُ يَرِيشُهُ: أَي: كَسَاهُ وَأَعَانَهُ.

(6) أَمْلَقَ الرَّجُلُ يَمْلُقُ: افْتَقَرَ. وَالْمَمْلُقُ: الْفَقِيرُ.

(7) الْعَانِي: الْأَسِيرُ.

(8) يَرَأُبُهُ: أَي: يُصْلِحُهُ.

(9) الشَّعْثُ: الْمَتَفَرِّقُ.

(10) اسْتَشْرَى الرَّجُلُ فِي الْأَمْرِ: أَي: جَدَّ فِيهِ.

(11) رَجُلٌ وَقِيدٌ: أَي: مُحْزُونُ الْقَلْبِ كَأَنَّ الْحُزْنَ قَدْ كَسَرَهُ وَضَعَفَهُ.

(12) أَي: اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ.



نِسْوَانُ أَهْلِ مَكَّةَ وَوَلَدَانُهَا، يَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَيَسْتَهْزِءُونَ بِهِ، وَاللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ.

وَأَكْبَرْتَ ذَلِكَ رَجَالَاتُ قُرَيْشٍ؛ فَحَنَّتْ لَهُ قِسِيَّهَا، وَفَوَّقَتْ ⁽¹⁾ إِلَيْهِ سِهَامَهَا؛ فَامْتَثَلُوهُ غَرَضًا، فَمَا فَلُوا ⁽²⁾ لَهُ صَفَاةً ⁽³⁾، وَلَا قَصَفُوا لَهُ قَنَآةً، وَمَرَّ عَلَى سَيْسَائِهِ ⁽⁴⁾ حَتَّى إِذَا ضَرَبَ الدِّينَ بِحِرَانِهِ ⁽⁵⁾، وَأَرْسَتْ أَوْتَادَهُ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أَفْوَاجًا، مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ أَرْسَالًا وَأَشْتَاتًا، اخْتَارَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - مَا عِنْدَهُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ الشَّيْطَانُ رِوَاقِهِ، وَشَدَّ طَنْبَهُ ⁽⁶⁾، وَنَصَبَ حَبَائِلَهُ، وَأَجْلَبَ بِحَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، وَأَلْقَى بَرَكِبَهُ، وَاضْطَرَبَ حَبْلُ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ، وَمَرَجَ عَهْدُهُ ⁽⁷⁾، وَمَآجِ أَهْلُهُ، وَعَادَ مُبْرَمُهُ أَنْكَائًا، وَبَغَى الْغَوَائِلُ ⁽⁸⁾، وَظَنَّتْ رِجَالُ أَنْ قَدْ أَكْثَبَتْ ⁽⁹⁾ أَطْمَاعَهُمْ نُهْزَتَهَا ⁽¹⁰⁾، وَلَاتَ حِينَ الَّذِي يَرْجُونَ، وَأَتَى وَالصَّدِيقَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَقَامَ

(1) فَوَّقَتْهُ، أَي: جَعَلَتْ لَهُ فَوْقًا، وَالْفُوقُ: مَوْضِعُ الْوَتَرِ مِنَ السَّهْمِ، كُنَايَةٌ عَنِ الْحَرْبِ.

(2) قَلَّ الشَّيْءُ: أَي: كَسُرَ.

(3) الصَّفَاةُ: صَخْرَةٌ مَلْسَاءٌ، أَي: فَمَا كَسَرُوا لَهُ حَجَرًا، تَكَنَّى بِذَلِكَ عَنْ قُوَّتِهِ فِي دِينِهِ.

(4) السَّيْسَاءُ: مُنْتَظَمٌ فَقَارِ الظَّهْرِ، وَالْمَقْصُودُ: الْعَادَةُ وَالطَّبِيعُ.

(5) جِرَانُ الْبَعِيرِ: مُقَدَّمُ غُنْقِهِ مِنْ مَذْبَحِهِ إِلَى مَنْحَرِهِ.

(6) الطَّنْبُ: حَبَالٌ يَشُدُّ بِهَا سِرَادِقُ الْبَيْتِ.

(7) مَرَجَ: اخْتَلَطَ.

(8) الْغَوَائِلُ: جَمْعُ غَائِلَةٍ، وَهُوَ الرَّجُلُ الدَّاهِيَةُ.

(9) الْكَثَبُ، بِالْتَّحْرِيكِ: الْقَرَبُ، يُقَالُ: رَمَاهُ مِنْ كَثَبٍ. وَيُقَالُ: أَكْثَبَكَ الصَّيْدُ، أَي: أَمَكَّنَكَ.

(10) وَالنُّهْزَةُ: الْفُرْصَةُ. وَالْجَمْعُ: نُهُزَاتٌ.



حَاسِرًا مُشْمَرًا قَدْ رَفَعَ حَاشِيَتَيْهِ، وَجَمَعَ قُطْرِيهِ ⁽¹⁾، فَرَدَّ نَشْرَ الدِّينِ عَلَى غِرِّهِ ⁽²⁾، وَلَمْ شَعَثَهُ بِطِيَّهِ ⁽³⁾، وَأَقَامَ أَوْدَهُ بِثَقَافِهِ ⁽⁴⁾؛ فَاْبْذَعَرَ التَّفَاقُ بَوَاطِئَهُ ⁽⁵⁾، وَانْتَاَشَ الدِّينُ فَنَعَشَهُ ⁽⁶⁾.

فَلَمَّا أَرَاخَ الْحَقُّ عَلَى أَهْلِهِ، وَأَقَرَّ الرَّعُوسَ عَلَى كَوَاهِلِهَا، وَحَقَنَ الدِّمَاءَ فِي أَهْبَهِا ⁽⁷⁾، وَحَضَرَتْهُ مَنِيَّتُهُ - نَضَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ - فَسَدَ ثُلُمَتُهُ ⁽⁸⁾ بِشَقِيقِهِ فِي الْمَرْحَمَةِ، وَنَظِيرِهِ فِي السَّيْرَةِ وَالْمَعْدَلَةِ؛ ذَاكَ ابْنُ الْخَطَّابِ، لِلَّهِ دَرُّ أُمِّ حَمَلَتْ بِهِ، وَدَرَّتْ عَلَيْهِ! لَقَدْ أَوْحَدَتْ ⁽⁹⁾؛ فَفَنَخَ ⁽¹⁰⁾ الْكَفْرَةَ وَدَيَّخَهَا ⁽¹¹⁾، وَشَرَدَ الشَّرْكَ شَذَرَ مَذَرَ ⁽¹⁾، وَبَعَجَ

(1) قطريه: مثني قطر، وهو نوع من الأكسي مخطط. والمعنى: أنه جمع جانبيه عن الانتشار والتعدد والتفرق.

(2) أي: على طيِّه وكسره، أرادت تدبيره أمر الرِّدة، ومقابلته دائها بدوائه.

(3) الشعث: المنتشر المتفرق. والطي: الجمع، ضد النثر.

(4) أودّه: معوجه. والثِّقَاف: الجِلَاد والخِصَام.

(5) أي: وطنه وطأ ثقيلاً، فابذعر، أي: تفرّق.

(6) الانتياش: التناول، ومثله التناوش، وقوله تعالى: (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾)

[سبأ: 52]، يعني: أنى لهم تناوش الإيمان في الآخرة، وقد كفروا به في الدنيا.

(7) الأهب: جمع إهاب، وهو الجلد.

(8) الثلم: كسر حافة الإناء.

(9) أي: ولدته وحيداً فريداً لا نظير له.

(10) فنخه: قهره ودلّله.

(11) دىخها، هو بمنزلة دَوَّخها.



الأَرْضَ وَبَجَعَهَا⁽²⁾؛ ففَاءَتْ أَكْلَهَا، وَلَفِظَتْ حَبِيئَهَا، تَرَأُّهُ⁽³⁾ وَيَصُدُّ عَنْهَا، وَتَصَدَّى لَهُ وَيَأْبَاهَا، ثُمَّ وَزَعَ فِيئَهَا⁽⁴⁾ فِيهَا، وَتَرْكَهَا كَمَا صَحِبَهَا؛ فَأَرُونِي مَاذَا تَرْتَوُونَ؟ وَأَيُّ يَوْمِي أَبِي تَنْقِمُونَ؛ أَيُّومَ إِقَامَتِهِ إِذْ عَدَلَ فِيكُمْ، أَوْ يَوْمَ ظَلْعِهِ إِذْ نَظَرَ لَكُمْ؟⁽⁵⁾

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ⁽⁶⁾.
وَحَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَيَّانُ بْنُ مُوسَى الْكُشْمَهَائِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ؛ يَعْنِي: ابْنَ الْمُبَارَكِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ، قَالَ مُعَاوِيَةَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْلَغَ مِنْ عَائِشَةَ»⁽⁷⁾.
قَالَ: وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَعِينٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ عَائِشَةَ لَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ وَدُفِنَ، قَامَتْ عَلَى قَبْرِهَ، فَقَالَتْ:

(1) أي: فَرَّقَهُ وَبَدَّدَهُ فِي كُلِّ وَجْهٍ.

(2) أي: شَقَّهَا وَأَذَلَهَا، يُقَالُ: بَجَعَ الْأَرْضَ إِذَا تَابَعَ جِرَائِثَهَا. وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنْ كَثْرَةِ فَتُوْحِهِ.

(3) تَرَأُّهُ: تَعَطَّفَ عَلَيْهِ، كَمَا تَرَأَمُ الْأُمُّ وَلَدَهَا، وَتَصَدَّى لَهُ: أَيُّ: تَتَعَرَّضُ.

4 خَرَّاجُهَا.

(5) يَوْمَ ظَلْعِهِ: تَرِيدُ يَوْمَ وَفَاتِهِ وَعَهْدِهِ بِالْخِلَافَةِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ قَامَ بِهَا خَيْرُ قِيَامٍ بَعْدَهُ؛ فَضَرَى اللَّهُ عَنْهُمَا.

(6) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، بِرَقْمٍ: (300)، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي «تَارِيخِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ» (338/30).

(7) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (23/183) (298)، وَابْنُ عَسَاكَرٍ فِي «تَارِيخِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ» (153/59)، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» (9/389): «رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَرَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ».



«نَضَرَ اللَّهُ- يَا أَبَتِ- وَجْهَكَ، وَشَكَرَ لَكَ صَالِحَ سَعْيِكَ؛ فَلَقَدْ كُنْتَ لِلدُّنْيَا مُذِلًّا بِإِدْبَارِكَ عَنْهَا، وَلِلْآخِرَةِ مُعِزًّا بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهَا، وَلَئِنْ كَانَ أَعْظَمَ الْمَصَائِبِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَزُوكَ⁽¹⁾، وَأَكْبَرَ الْأَحْدَاثِ بَعْدَهُ فَقَدْ كُنْتَ، فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِيَعِدُّنَا بِالصَّبْرِ عَنْكَ حُسْنَ الْعَوَظِ مِنْكَ، وَأَنَا مُتَنْجِزَةٌ مِنَ اللَّهِ مَوْعِدِهِ فِيكَ بِالصَّبْرِ عَلَيْكَ، وَمُسْتَعِينَتُهُ بِكَثْرَةِ الْاسْتِغْفَارِ لَكَ، فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ تَوَدِّعَ غَيْرَ قَالِيَةِ لِحْيَاتِكَ، وَلَا زَارِيَةٍ عَلَى الْقَضَاءِ فِيكَ⁽²⁾»⁽³⁾.

وَحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنِ سَعْدَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَتَبِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ذَكَرْتُ عَائِشَةَ أَبَاهَا، فَاسْتَغْفَرْتُ، ثُمَّ قَالَتْ: «إِنَّ أَبِي كَانَ غَمْرًا شَاهِدُهُ، غَمْرًا غَيْبُهُ، غَمْرًا صَمْتُهُ إِلَّا عَنْ مَفْرُوضٍ ذَلَّلَهُ عِنْدَ الْحَقِّ⁽⁴⁾، إِذَا نَزَلَ بِهِ يَتَمَخَّجُ الْأَمْرَ هُوَيْنَاهُ، وَيَرِيعُ إِلَى قُصِيرَاهُ⁽⁵⁾، إِنْ اسْتَفْزِرَ أُسْجَحَ⁽⁶⁾، وَإِنْ تَعَزَّزَ عَلَيْهِ طَامَنَ⁽¹⁾، طَيَّارٌ بِفَنَاءِ

1 الرزؤ: المصيبة، أي: الابتلاء بفقدك.

2 أي: غير مُبَغْضَةٍ لِبَقَائِكَ، وَلَا مُعْتَرِضَةٍ عَلَى رَحِيلِكَ.

(3) أخرجه أبو يَعْلَى في «معجمه» (1/ 95)، برقم (88)، وابن عساكر بأطول منه في «تاريخ دمشق» (30/ 442، 443).

(4) الغمر: الكريم الواسع الخلق. وشاهده: حاضره. والمعنى: أنه كريم متسامح في علانيته وسره ونطقه وصمته إلا عن أمر مفروض؛ فإنه لا يتسامح فيه.

(5) تَمَخَّجَ الماء: حَرَّكَه. وهُوَيْنِي الأمر: سَهَلَهُ. ويريع: يرجع. وقصيراه: غايته، تريد أنه يأخذ الأمور بالرفق حتى تبلغ غايتها.

(6) أي: إذا استفزز لغضب ونحوه. أسجح، أي: سَهَّلَ. ويُروى: «إِنْ اسْتَفْزَرَ أُسْجَحَ»، وحينئذ يكون معنى أسجح: سمح.



المُعْضَلَةُ (2)، بَطِيءٌ عَنْ مُمَارَاةِ الْجَلِيسِ (3)، مُنْشِئٌ لِمَحَاسِنِ قَوْمِهِ، مَوْفُورُ السَّمْعِ عَنِ الْأَذَاةِ (4).

يَا طُولَ حُزْنِي وَشَجَايَ (5)، لَمْ أَلْعُ عَلَى مَشْكُولٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - لَوْعِي عَلَى أَبِي (6)، طَامَنَ الْمَصَائِبَ رُزْؤُهُ (7)، وَكُنْتُ بَعْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - لَا رُزْءَ أَحْفَلُهُ (8)، وَعَاءُ الْوَحْيِ، وَكَافِلُ رِضَاءِ الرَّبِّ، وَآمِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَشَفِيعُ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

إِنَّ مَاءَ الْجُفُونِ (9) يَنْزُحُهُ الْهَمُّ
لَيْسَ يَأْسُوجُ جَوَى الْمَرَاثِيِّ مَاءً
سَفَحَتَهُ الشُّؤْنُ وَالْأَجْفَانُ (10)

-
- 1 أي: إن غُولِبَ في المخاطبة سَكَنَ، تريد أنه سمح الخلق لا يغضب إلا للحق.
 - 2 المعضلة: الأمر الشديد، والمعنى: أنه سريع في تدبير مُعضلات الأمور.
 - 3 المماراة: الشك، أو مُجَارَاةُ الْإِنْسَانِ جَلِيسَهُ بِالْبَاطِلِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.
 - 4 أي: يَتَصَامَمُ عَنْ سَمَاعِ الْأَذْيَةِ. وَالْمَوْفُورُ: الْذَاهِبُ السَّمْعِ.
 - 5 الشَّجَى: قَهْرُ الْحُزْنِ.
 - 6 أي: لم تجزع على حبيب مفقود بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جزعها على أبيها.
 - 7 أي: أنساها هذا الرُّزْءُ؛ لعظمه، فَأَيُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَهُ جَلَلٌ.
 - 8 أَبَالِي بِهِ.
 - 9 ماء الجفون: أي: الدُّمُوعُ.
 - 10 يَأْسُو: يُدَاوِي، جَوَى: الْحُزْنَ. الْمَرَاثِيُّ: مَنْ مَاتَ خِيَارَ قَوْمِهِ.
- سَفَحَتَهُ الشُّؤْنُ وَالْأَجْفَانُ: سَفَحَتَهُ: صَبَّتَهُ. الشُّؤْنُ: مَجْرَى الدُّمُوعِ.



قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو السُّكَيْنِ زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمُّ أَبِي زَحْرَبْنِ حِصْنٌ، عَنْ جَدِّهِ حُمَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ مُنْهَبٍ بْنِ خَيْبَرِيِّ بْنِ جُدْعَا قَالَ: «حَجَجْتُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا عُثْمَانُ، فَصَادَفْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَعَائِشَةَ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا سَارُوا إِلَى الْبَصْرَةِ سِرْتُ مَعَهُمْ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَائِشَةُ بِالْبَصْرَةِ قَالَتْ:

«إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حُرْمَةَ الْأُمُومَةِ»⁽¹⁾، وَحَقَّ الْمَوْعِظَةُ، لَا يَتَّهَمُنِي إِلَّا مَنْ عَصَى رَبَّهُ».

قَالَ أَبُو السُّكَيْنِ: «أَرَادَتْ ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ [النور: 17].

قَالَتْ: «قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بَيْنَ سَحْرِي وَتَحْرِي»⁽²⁾، وَأَنَا إِحْدَى نِسَائِهِ فِي الْجَنَّةِ، لَهُ ادَّخَرَنِي رَبِّي، وَحَصَّنَنِي مِنْ كُلِّ بُضْعٍ»⁽³⁾، وَبِي مَيِّزٌ مُؤْمِنَكُمْ مِنْ مُنَافِقِكُمْ»⁽⁴⁾، وَبِي أَرْخَصَ اللَّهُ لَكُمْ فِي صَعِيدِ الْأَبْوَاءِ»⁽¹⁾.

1 تقصد أنها من أزواج النبي ﷺ، وهن أمهات المؤمنين؛ قال الله ﷻ: (الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) [الأحزاب: 6].

2 السَّحْر: الرَّثَّة. والتَّحْر: أعلى الصدر، تريد أنه ﷺ أنه مات وهو مُسْتَنَدٌ إِلَى صَدْرِهَا، وَمَا يُحَازِي سَحْرَهَا مِنْهُ. وَكَانَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي بَيْتِهَا، وَلَيْلَتِهَا.

3 أي: من كل نِكَاح؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا بِكَرٍّ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ.

4 تشير إلى حديث الإفك، وهو اتِّهَامُهَا بِالزَّنا؛ وَقَدْ بَرَّأَهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النور: 11]، وَلِذَا لَا يَتَّهَمُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَحَدٌ بِهَذَا بَعْدَ تَبَرُّتِ اللَّهِ لَهَا إِلَّا كَانَ مُنَافِقًا؛ لِأَنَّهُ يَرُدُّ كَلَامَ اللَّهِ ﷻ: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي نسخة: «ثُمَّ أَبِي ثَانِي اثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا» (2).

«وَأَبِي رَابِعٍ أَرْبَعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (3)، وَأَوَّلَ مَنْ سُمِّيَ صِدِّيقًا (4)، قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَقَدْ طَوَّقَهُ وَهَفُفَ الْإِمَامَةُ (1)، ثُمَّ اضْطَرَبَ حَبْلُ

1 أرخص: أجاز. والصَّعيد: التراب. والأبواء: المفازة. تُريد أنها كانت سببًا في رخصة التيمم؛ والقصة أخرجها البخاري (4607) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره - حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش - انقطع عُقْدُ لي، فأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق، فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء؟ فجاء أبو بكر ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال: ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، ولا يمنعي من التحرك إلا مكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فخذي، فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أصبح على غير ماء؛ فأنزل الله آية التَّيْمِمْ فَتَيَمَّمُوا، فقال أُسَيْدُ بْنُ حُصَيْرٍ: ما هي بأَوَّلَ بَرَكْتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ».

2 تشير بذلك إلى دخول أبيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَارِ ثَوْرٍ مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهجرة؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (التوبة: 40).

3 يقال: إِنَّهُ أَسْلَمَ قَبْلَهُ خَدِيجَةٌ، وَعَلِيٌّ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ. «الأوائل» للعسكري (ص 140).

4 تلقيب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالصديق أمر ثابت مجمع عليه، لا شك فيه، فقد روى البخاري (3675) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعَدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ، فَزَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَان».



الدِّين؛ فَأَخَذَ أَبِي بَطْرَفِيهٖ، وَرَتَّقَ لَكُمْ أَثْنَاءَهُ⁽²⁾، فَوَقَدَ النَّفَّاقَ⁽³⁾، وَأَغَاصَ نَبْعَ الرِّدَّةِ⁽⁴⁾، وَأَطْفَأَ مَا حَشَّتْ يَهُودُ⁽⁵⁾.

وَأَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ جُحِظَ الْعُيُونُ، تَنْظُرُونَ الْعَدُوَّةَ، وَتَسْتَمِعُونَ الصَّيْحَةَ⁽⁶⁾، فَرَأَبَ الثَّأْيِ⁽⁷⁾، وَأَوْدَمَ الْعَطِلَةَ⁽¹⁾، وَامْتَا ح مِنَ الْمَهْوَاةِ⁽²⁾، وَاجْتَحَى دَفِينِ الدَّاءِ⁽³⁾، ثُمَّ

ففي هذا الحديث وصف من النبي ﷺ لأبي بكر بالصدقية.

قال الإمام النووي رحمه الله في «تهذيب الأسماء واللغات» (2/ 181): «وأجمعت الأئمة على تسميته صديقاً؛ قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - هُوَ الَّذِي سَمَّى أَبَا بَكْرٍ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: صَدِيقًا، وَسَبَبَ تَسْمِيَتِهِ: أَنَّهُ بَادَرَ إِلَى تَصَدِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَازَمَ الصَّدَقَ، فَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ هَنَاءٌ، وَلَا وَقْفَةٌ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ».

1 أي: ثقلها، وتبعاتها.

2 أثناءه: ما انثنى منه. تريد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه لما اضطرب أمر الأمة يوم الرِّدَّة أحاط به أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كل جوانبه وضَمَّه، وكانت فتنة، فأخمدتها بحزمه وعزمه، وهذا توفيق من الله جل وعلا له.

3 أي: كسره ودمَّغَه.

4 أي: أذهب ما نبع منها وظهر.

5 أي: ما أوقدت اليهود من نيران الفتنة والحرب؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ: (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ) [المائدة: 64].

6 تريد أنهم كانوا في جهدٍ وبلاء، اجحظت عيونهم؛ أي: برزت، وهم ينظرون الوثبة عليهم، ويسمعون للتصايح إليهم، وقد أسقط في أيديهم.

7 أي: أصلح الفساد.



انتظمت طاعتكم بحيله؛ فوَلَّى أَمْرَكُمْ رَجُلًا شَدِيدًا فِي ذَاتِ اللَّهِ **عَزَّجَلَّ** ⁽⁴⁾، مُدْعِنًا إِذَا رُكِنَ إِلَيْهِ ⁽⁵⁾، بَعِيدَ مَا بَيْنَ اللَّابَتَيْنِ ⁽⁶⁾، عُرْكَةً لِلْأَذَاةِ بِجَنْبِهِ ⁽⁷⁾؛ فَقَبَضَهُ اللَّهُ وَاطْنًا عَلَى هَامَةِ النَّفَاقِ ⁽⁸⁾، مُذَكِّيًّا نَارَ الْحَرْبِ لِلْمُشْرِكِينَ ⁽⁹⁾، يَقْظَانَ اللَّيْلِ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ، صَفُوحًا عَنِ الْجَاهِلِينَ ⁽¹⁰⁾، خِشَاشَ الْمَرَاةِ وَالْمَخْبِرَةِ ⁽¹¹⁾، فَسَلَكَ مَسْلَكَ السَّابِقِيَّةِ ⁽¹²⁾.

-
- 1 العطلة: الدَّلُو الْمُعْظَلَةُ عَنْ الاستِقَاءِ لَانْقِطَاعِ وَدُمِهَا، أَي: سُيُورِهَا. وَأَوْدَمَهَا: أَي: شَدَّهَا وَأَصْلَحَهَا.
- 2 امتاح: انْتَزَعَ. وَالْمُهَوَاةُ: الْبُئْرُ الْعَمِيقَةُ. أَرَادَتْ أَنَّهُ تَحَمَّلَ مَا لَمْ يَتَحَمَّلْ غَيْرُهُ.
- 3 أَي: اسْتَأْصَلَهُ.
- 4 تَرِيدُ عَهْدَ أَبِيهَا لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** بِالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ.
- 5 الْمُدْعِنُ: هُوَ الْمُسْرِعُ فِي الطَّاعَةِ؛ أَي: لَا يَأْلُو إِذَا طُلِبَ، أَوْ اسْتُعِين بِهِ.
- 6 اللَّابَتَانِ: مِثْنَى اللَّابَةِ، وَهِيَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَرْضِ. تَرِيدُ أَنَّهُ وَاسِعُ الصَّدْرِ.
- 7 أَي: يَحْتَمِلُهُ.
- (8) الْهَامَةُ: الرَّأْسُ.
- 9 أَي: مَوْقِدَهَا.
- (10) إِلَى هُنَا أَخْرَجَهُ اللَّالِكَايُ فِي «اعْتِقَادِ أَهْلِ السَّنَةِ»، بِرَقْم: (2473)، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (390/30).
- 11 تَرِيدُ أَنَّهُ لَطِيفُ الْجِسْمِ وَالْمَعْنَى
- 12 أَي: الَّذِينَ سَبَقُوهُ فِي النَّظَرِ فِي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ.



تَبَرَّأْتُ إِلَى اللَّهِ مِنْ حَظَبٍ جَمَعَ شَمْلَ الْفِتْنَةِ⁽¹⁾، وَمَزَّقَ مَا جَمَعَ الْقُرْآنَ، أَنَا نَصَبُ الْمَسْأَلَةِ عَنْ مَسِيرِي هَذَا⁽²⁾، أَلَا وَإِنِّي لَمْ أُجَرِّدْ إِثْمًا أَدْرِعُهُ⁽³⁾، وَلَمْ أُدَلِّسْ فِتْنَةً أَوْطَأَكُمُوهَا.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صَادِقًا وَعَدْلًا، وَاعْتِدَارًا وَتَعْذِيرًا، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنْ يَخْلُقَهُ فِي أُمَّتِهِ بِأَفْضَلِ خِلَافَةِ الْمُرْسَلِينَ.

وَإِنِّي أَقْبَلْتُ لِدَمِ الْإِمَامِ الْمَظْلُومِ⁽⁴⁾، الْمَرْكُوبَةِ مِنْهُ الْفِقْرُ الْأَرْبَعُ⁽⁵⁾: حُرْمَةُ الْإِسْلَامِ، وَحُرْمَةُ الْخِلَافَةِ، وَحُرْمَةُ الصُّحْبَةِ⁽⁶⁾، وَحُرْمَةُ الشَّهْرِ الْحَرَامِ⁽⁷⁾؛ فَمَنْ رَدَّنَا عَنْ ذَلِكَ بِحَقِّ قَبْلِنَاهُ، وَمَنْ خَالَفَنَا قَتَلْنَاهُ، وَرُبَّمَا ظَهَرَ الظَّالِمُ عَلَى الْمَظْلُومِ⁽⁸⁾، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

(1) الخطب: الأمر العظيم.

2 تريد أنها عرضة لأن تسأل عن مسيرها هذا. والنَّصَب: ما رُفِعَ واستقبل به شيء.

3 لم أُجَرِّد: لم أُنزِع. أَدْرِعُهُ: أجعله درعًا. تريد أنها لم تتلبس بالإثم.

4 تقصد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثالث الخلفاء الراشدين، الذي قُتِلَ ظُلْمًا فِي دَارِهِ.

5 الفقر: جمع فقرة، وهي خَرَزَاتُ الظَّهْرِ؛ وَقَدْ ضَرَبَتْهَا مَثَلًا لِمَا ارْتَكَبَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهَا مَوْضِعُ الرُّكُوبِ، وَأَرَادَتْ أَنَّهُمْ انْتَهَكُوا فِيهِ أَرْبَعَ حُرُمٍ.

6 أي: صحبته للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

7 لِأَنَّهُ قُتِلَ فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ، وَهُوَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ.

8 أي: قد يغلب الظالم في بدء الأمر، ولكن العاقبة للمتقين.



قَالَ: وَحَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ الْمَاجِشُونِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: «قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَوْ نَزَلَ بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ مَا نَزَلَ بِأَبِي لَهَاظَهَا»⁽¹⁾.

اشْرَأَبَّ التَّفَاقُ⁽²⁾ بِالْمَدِينَةِ، وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، فَوَاللَّهِ، مَا اخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِي لَفْظَةٍ إِلَّا طَارَ أَبِي بِحُظَّهَا وَغِنَائِهَا فِي الْإِسْلَامِ، وَمَنْ رَأَى ابْنَ الْخَطَّابِ عَلِمَ أَنَّهُ خُلِقَ غِنَاءً لِلْإِسْلَامِ؛ كَانَ وَاللَّهِ أَحْوَذِيًّا⁽³⁾، نَسِيَجًا وَحْدَهُ⁽⁴⁾، قَدْ أَعَدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا⁽⁵⁾»⁽⁶⁾.

وَقَالَ هَارُونُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنِ سَعْدَانَ، عَنْ الْقُتَيْبِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَتْ أُمُّ سَلَمَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا- عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ لَمَّا طَعَنَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: «يَا بُنَيَّ، مَا لِي أَرَى رَعِيَّتَكَ عَنْكَ مُزَوَّرِينَ»⁽⁷⁾، وَعَنْ نَاحِيَّتِكَ نَافِرِينَ⁽⁸⁾، لَا تَعْفُ⁽⁹⁾ سَبِيلًا كَانَ

1 أي: لكَسَرَهَا.

2 أي: تَطَاوَلَ بِعُنُقِهِ.

(3) الْأَحْوَذِي: الْمُتَنَكِّشُ فِي أُمُورِهِ، الْحَسَنُ السِّيَاقُ لِلْأُمُورِ.

4 أي: لَا نَظِيرَ لَهُ.

5 أي: مَا يَقْوَى بِهِ عَلَيْهَا.

(6) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»، بِرَقْمِ (4913)، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» بِرَقْمِ (37255).

7 مُعْرِضِينَ مُنْخَرَفِينَ.

8 مُتَّبَاعِدِينَ بِجَزَعٍ.

9 لَا تَمُحُّ.



رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - لَحَبَهَا ⁽¹⁾، وَلَا تَقْدَحِ زَنْدًا كَانَ أَكْبَاهَا ⁽²⁾؛
تَوْخَّ حَيْثُ تَوَخَّى صَاحِبَاكَ ⁽³⁾؛ فَإِنَّهُمَا نَكَمَا الْأَمْرَ نَكَمًا ⁽⁴⁾ وَلَمْ يَظْلِمَاهُ، لَسْتَ
بِغُفْلٍ فَتَعْتَذِرُ، وَلَا بِجُلُودٍ فَتَعْتَزِلُ ⁽⁵⁾، وَلَا تَقُولُ وَلَا يُقَالُ إِلَّا لِحِظْنٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ إِلَّا فِي
ظَنِينٍ ⁽⁶⁾؛ فَهَذِهِ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ، وَحَقُّ بُنُوتِكَ ⁽⁷⁾، قَضَيْتُهَا إِلَيْكَ، وَلِلَّهِ عَلَيْكَ حَقُّ
الطَّاعَةِ، وَلِلرَّعِيَّةِ حَقُّ الْمِيثَاقِ ⁽⁸⁾.

فَقَالَ عَثْمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَا أُمَّنَا، قَدْ قُلْتَ فَوَعَيْتُ، وَأَوْصَيْتَ فَاسْتَوْصَيْتُ؛ إِنَّ
هَؤُلَاءِ النَّفَرِ رِعَاعٌ، عَثْرَةٌ ⁽⁹⁾، تَطَاطَأَتْ لَهُمْ تَطَاطُؤُ الْمَانِحِ الدَّلَاةِ ⁽¹⁾، وَتَلَدَّدَتْهُمْ تَلَدَّدُ

1 أي: بَيْنَهَا وَشَرَعَهَا. وطريق لاجب: واضح.

2 أي: عَظَّلَهَا مِنَ الْقَدَحِ فَلَمْ يُورِ بِهَا. مِنْ وَرَى الرَّنْدِ، أي: أَخْرَجَ نَارَهُ. والمعنى: لَا تَعْمَلُ شَيْئًا لَمْ
يَعْمَلْهُ.

3 أي: اقصد ما قصده صاحبك، والزم نهجهما.

4 أي: نَظَّمَاهُ نَظْمًا.

5 المراد: أَنَّ عُوْدَهُ صَلَبٌ وَمُرٌّ، فَلَا يَسْهَلُ عَجْمُهُ أَوْ كَسْرُهُ، وَذَلِكَ لِمَكَانِ عَصَبِيَّتِهِ فِي قَوْمِهِ بَنِي أُمَيَّةَ،
وَشَرَفِهِ فِي إِسْلَامِهِ.

6 أي: لَمْ تَحْصُلِ الْأَقَاوِيلُ فِي شَأْنِكَ إِلَّا لِمَوْضِعِ الظَّنِّ مِنَ انْخِرَافِكَ إِذْ لَا اخْتِلَافَ إِلَّا عَلَى ظَنِينٍ،
أي: مُتَّهَمٍ.

7 لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَقُّ الْبُنُوَّةِ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ
أَمْهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ.

8 أي: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ؛ لِأَنَّهُ الْخَلِيفَةُ.

9 سَفَلَةٌ، أَوْ جُهَالٌ.



الْمُضْطَرُّ⁽²⁾؛ فَأَرَانِيهِمُ الْحَقُّ إِخْوَانًا، وَأَرَاهُمُونِي الْبَاطِلُ شَيْطَانًا، أَجَزَرْتُ الْمَرْسُونَ مِنْهُمْ رَسَنَهُ⁽³⁾، وَأَبْلَغْتُ الرَّاتِعِ مِسْقَاتِهِ⁽⁴⁾، فَانْفَرُقُوا عَلَيَّ فِرْقًا ثَلَاثًا؛ فَصَامَتْ صَمْتُهُ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ غَيْرِهِ⁽⁵⁾، وَسَاعَ أَطَاعَنِي شَاهِدُهُ⁽⁶⁾، وَمَنْعَنِي غَائِبُهُ، وَمُرَخَّصَ لَهُ فِي مُدَّةٍ رَيْنَتْ لَهُ عَلَى قَلْبِهِ⁽⁷⁾، فَأَنَا مِنْهُمْ بَيْنَ أَلْسِنَةٍ حِدَادٍ⁽⁸⁾، وَقُلُوبٍ شِدَادٍ، وَسُيُوفٍ حِدَادٍ، عَزِيزِي اللَّهُ مِنْهُمْ⁽⁹⁾ أَلَّا يَنْهَى مِنْهُمْ حَلِيمٌ سَفِيهًا، وَلَا عَالِمٌ جَاهِلًا، وَاللَّهُ حَسْبِي وَحَسْبُهُمْ يَوْمَ لَا يَنْطِقُونَ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ⁽¹⁰⁾»⁽¹⁾.

- 1 أي: خففت نفسي كما يخفضها المستقون بالدلاة، وتواضعت وانحنيت. والماتح: المستقي من البئر بالدلو.
- 2 أصل التلدد: الالتفات يمينًا وشمالًا، وأراد أنه حرص عليهم، ونظر إليهم.
- (3) الرّسن: جبل تُقَاد به الإبل. أراد أنه تركه يصنع ما شاء.
- 4 المسقاة: موضع الشرب. أراد أنه جمع له ما بين الأكل والشرب. صَرَبَهُ مَثَلًا لِرَفِيقِهِ برعيته.
- 5 أي: إمساكه أشد من تطاول غيره. يقال: طال عليه واستطال وتطاول: إذا علاه، وترفع عليه.
- 6 حاضره، ويروى: «أعطاني».
- 7 «رينت» من الرّين، أي: عَطَى الدَّئِبَ عَلَى قَلْبِهِ، فَلَمْ يُصِبْ طَرِيقَ الْهُدَى. يريد بذلك أن من جَاهَرُوا بَعْدَاوَتَهُ عَمُوا عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى.
- 8 أي: بِالْغَةِ مُنْتَهَى حِدَّتِهَا وَبَأْسُهَا.
- 9 أي: نصيري الله عليهم.
- 10 أي: عند الحساب في الآخرة. وهو اقتباس من قوله تعالى: (هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾) [المرسلات: 35، 36].



وَقَالَ هَارُونُ: عَنِ الْعَتَبِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ (وَفِي نَسْخَةٍ: كَتَبَتْ إِلَيْهَا أُمُّ سَلَمَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا) لِعَائِشَةَ لَمَّا هَمَّتْ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْجَمَلِ (2): «يَا عَائِشَةُ، إِنَّكَ سُدَّةٌ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أُمَّتِهِ (3)، حِجَابُكَ مَضْرُوبٌ عَلَى حُرْمَتِهِ (4)، وَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنُ ذَيْلَكَ فَلَا تَنْدَحِيهِ (5)، وَسَكَّنَ اللَّهُ مِنْ عَقِيرَاكَ، فَلَا تُصْجِرِيهَا (6)».

اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، قَدْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَكَ، لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْهَدَ فِيكَ عَهْدًا، بَلْ قَدْ نَهَاكَ عَنِ الْفُرْطَةِ فِي الْبِلَادِ (7)!

(1) «مَحَادِثَاتُ النِّسَاءِ» (ص 57)، وَذَكَرَهُ ابْنُ قَتِيبَةَ فِي «غَرِيبِ الْحَدِيثِ» (2/78، 79).

2 لِتَرْكِبِهِ ذَاهِبَةً مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ مُطَالِبَةً بِدَمِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

3 أَي: بَابُ؛ فَمَتَى أُصِيبَ ذَلِكَ الْبَابُ بِشَيْءٍ، فَقَدْ دُخِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرِيمِهِ، وَاسْتَبِيحَ مَا حَمَاهُ؛ فَلَا تَكُونِي أَنْتِ سَبَبُ ذَلِكَ بِالْخُرُوجِ الَّذِي لَا يَجِبُ عَلَيْكَ، فَتُحَوِّجِي النَّاسَ إِلَى أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَكَ.

4 تَقْصِدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلِّتُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) [الْأَحْزَاب: 53].

5 أَرَادَتْ قَوْلَهُ تَعَالَى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) [الْأَحْزَاب: 33]. وَقَوْلُهَا: «فَلَا تَنْدَحِيهِ»، أَي: فَلَا تُوسِّعِيهِ، وَلَا تُفَرِّقِيهِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْبَصْرَةِ.

6 أَي: أَسْكَنْكَ اللَّهُ بَيْتَكَ وَعَقَارَكَ، وَسَتَرَكَ فِيهِ، فَلَا تَخْرِجِي مِنْهُ إِلَى الصَّحْرَاءِ.

7 أَي: التَّqَدُّمَ فِي الْبِلَادِ.



مَا كُنْتُ قَائِلَةً لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَارَضَكَ (1) بِأَطْرَافِ الْقُلُوبِ (2) نَاصَةً (3) قُلُوصَكَ مِنْ مَنْهَلٍ إِلَى مَنْهَلٍ (4)؛ إِنَّ بَعِينَ اللَّهِ مَثْوَاكَ (5)، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تُعْرِضِينَ، وَلَوْ أُمِرْتُ بِدُخُولِ الْفِرْدَوْسِ لَأَسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَلْقَى مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَاتِكَةً حِجَابًا جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيَّ؛ فَاجْعَلِيهِ سِتْرَكَ، وَقَاعَةَ الْبَيْتِ قَبْرَكَ حَتَّى تَلْقِيَهُ، وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، مَا أَقْبَلَنِي لِمَوْعِظَتِكَ، وَأَعَرَفَنِي بِنُصْحِكَ؛ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولِينَ، مَا أَنَا بِمُعِيرَةٍ بَعْدَ تَعُودِ (6)، وَلَنَعَمَ الْمَطْلَعُ مَطْلَعًا أَصْلَحْتُ فِيهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مُتَنَاجِرَتَيْنِ (7)».

وَفِي نَسْخَةٍ يُرَوَّى بَعْدَ ذَلِكَ: (فَإِنْ أَقَمَ فَعِنِّي غَيْرَ حَرَجٍ، وَإِنْ أَخْرَجَ فَعِنِّي إِصْلَاحٌ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُتَنَاجِرَتَيْنِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ) (8).

1 أي: استقبلك.

2 الصَّحَارِي الواسعة.

3 النَّصُّ: التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها؛ والنص والنصيص: السير الشديد والحث.

(4) المنهل: الموضع الذي فيه المشرب، أي: مكان الشرب، أو المنزل يكون في المفاضة.

5 منزلك.

6 أي: لست براجعة عما عزمْتُ عليه.

7 مُتَحَارِبَتَيْنِ.

(8) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (5/ 65، 66)، وذكره ابن قتيبة في «غريب الحديث» (2/



زَعَمَ لِي ابْنُ أَبِي سَعْدٍ: أَنَّهُ صَحَّ عِنْدَهُ أَنَّ الْعَتَابِيَّ كَثُومَ بْنَ عُمَرَ صَنَعَ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ، وَقَدْ كَتَبْتُهُمَا عَلَى مَا فِيهِمَا.

الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قِيلَ لِعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ قَوْمًا يَشْتُمُونَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: «قَطَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَمَلَ؛ فَأَحَبُّ أَلَا يَقْطَعَ عَنْهُمْ الْأَجْرَ» (1) (2).

وَذَكَرَ الزُّبَيْرُ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عُثْمَانَ أَنَّ عَائِشَةَ رَأَتْ رَجُلًا مُتَمَاوِتًا (3)، فَقَالَتْ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: زَاهِدٌ! قَالَتْ: «قَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ زَاهِدًا، وَكَانَ إِذَا قَالَ أَسْمَعَ، وَإِذَا مَشَى أَسْرَعَ، وَإِذَا ضَرَبَ فِي ذَاتِ اللَّهِ أَوْجَعَ» (4) (5).

1 أي: انقطع عملهم الصالح في الدنيا بموتهم، فأراد الله ألا يقطع عنهم الأجر، فهو يُثَبِّههم على شتم الشاتمين إياهم؛ فقد أخرج مسلم (2581) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»، فكيف إذا كان المشتوم صحابة النبي الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

(2) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (387/44).

3 أي: رقيق الحال مُصاب بالهزال مصفرًا مُغبرًّا، كأنه ميت يمشي بين الناس.

4 أي: إذا ضرب مذنبًا في حَدٍّ من حدود الله أوجع. والمعنى: أنه لا تنافي بين الزهد وقوة الإنسان.

(5) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (178/62)، وذكره الأصفهاني في «محاضرات الأدباء» (428/2).



وَقَالَ الزُّبَيْرُ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ عَائِشَةَ لَمَّا احْتَضَرَتْ ⁽¹⁾ جَزَعَتْ. فَقِيلَ لَهَا: أَنْجِزِي - يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - وَأَنْتِ زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَابْنَةُ - وَيُرْوَى: «بنت» - أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ؟! فَقَالَتْ: إِنَّ يَوْمَ الْجَمَلِ ⁽²⁾ مُعْتَرِضٌ فِي حَلْقِي، لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَهُ، أَوْ كُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا» ⁽¹⁾.

1 أي: حضرته الوفاة.

2 أي: يوم خروجها للمطالبة بدم عثمان مع طلحة والزبير رضي الله عنهم جميعاً، وللإصلاح بين الناس، وما كانوا يقصدون قتالاً، واتفقوا على الصلح، وإنما حَرَسَ بين الفريقين قتله عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأهل الفتنة؛ يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ إِنَّهُ بعد الاتفاق على الصلح: «اطمأنت النفوس وسكنت، واجتمع كلُّ فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعثَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بن عباس إليهم، وبعثوا إليه محمد بن طلحة السَّجَّاد، وبات الناسُ بخير ليلة، وبات قتله عثمان بِشَرِّ ليلة، وباتوا يتشاورون، وأجمعوا على أن يُثيروا الحرب من الغلَس، فنهضوا من قَبْلِ طُلُوعِ الفجر، وهم قريبٌ من أَلْفِي رجل؛ فانصرف كلُّ فريق إلى قَرَبَاتِهِمْ، فهجموا عليهم بالسيوف، فثار كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح، فقالوا: ما هذا؟ قالوا: طَرَقَنَا أَهْلُ الكوفة ليلاً، وَبَيَّتُونَا، وَغَدَرُوا بَنَا. وَظَنُّوا أَنَّ هَذَا عَنْ مَلَأٍ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ، فبلغ الأمرُ عَلِيًّا، فقال: ما للناس؟ فقالوا: بَيَّتْنَا أَهْلَ البصرة. فثار كلُّ فريق إلى سلاحهم، ولبسوا اللأمة، وركبوا الخيول، ولا يشعر أحدٌ منهم بما وقع الأمرُ عليه في نفس الأمر. وكان أمرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا. فَتَشَبَّتَ الحرب، وتواقف الفريقان، وقد اجتمع مع عَلِيٍّ عشرون أَلْفًا، والتف على عائشة ومن معها نحو من ثلاثين أَلْفًا، وقامت الحرب على ساق، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان، فإنا لله وإنا إليه راجعون. والسبئية أصحاب ابن السوداء - قَبَّحَهُ اللَّهُ - لا يفترون عن القتل، ومنادي عَلِيٍّ ينادي: أَلَا كُفُّوا! أَلَا كُفُّوا! فلا يسمع أحدٌ، وجاء كعب بن سور قاضي البصرة، فقال: يا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، أدركي الناس، لعلَّ اللَّهَ أَنْ يصلح بك بين الناس. فَجَلَسَتْ في هودجها فوق بعيرها، وسَتَرُوا الهودج بالدروع، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس في معركتهم، فتصاولوا وتجادلوا، وكان في جملة مَنْ تبارز



وَرُوي أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ: «اللَّهُ دَرُّ التَّقْوَى! مَا تَرَكْتُ لَزِي غَيْظٍ

شِفَاءً» (2) (3).

وَكَانَتْ تَقُولُ: «لَا تَطْلُبُوا مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ بِمَا يُسَخِّطُ» (4) اللَّهُ.

الزبير وعمار، فجعل عَمَّار يحوزه بالرمح، والزبير كاف عنه، ويقول له: أقتلني يا أبا اليقظان؟ فيقول: لا يا أبا عبد الله. وإنما تركه الزبير؛ لقول رسول الله ﷺ: «تقتلك الفئة الباغية»، وإلا فالزبير أقدر عليه منه عليه، فلهذا كَفَّ عنه، وقد كان من سُنَّتِهِمْ في هذا اليوم أنه لا يُدْفَعُ على جريح، ولا يُتَّبَعُ مُدْبِر، وقد قتل مع هذا بشرٌ كثير جدًّا، حتى جعل عليٌّ يقول لابنه الحسن: يا بني، ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين سنة. فقال له: يا أبة، قد كنت أنْهَكَ عن هذا». «البداية والنهاية» (10/ 454-456).

(1) أخرجه بنحوه ابن سعد في «الطبقات» (8/ 59)، أما قولها: «ووددت أني كنت نسيًّا منسيًّا» فقد أخرجه البخاري (4753) عن ابن أبي مليكة قال: «استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يثني عليّ، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ، ومن وجوه المسلمين! قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتَّقيت، قال: «فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عُذْرُكَ من السماء، ودخل ابن الزبير خلافة، فقالت: دخل ابنُ عَبَّاسٍ فأثنى عليّ، ووددت أني كنت نسيًّا منسيًّا».

2 تعني أن تقوى العبد لربه تحول دون أن ينتقم من خصمه، وذلك بأن يظلمه.

(3) ذكره الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار» (1/ 226)، وفيه: أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت لما غَاظَهَا خَادِمٌ لَهَا.

4 ذكر أبو هلال العسكري أن الغضب يكون من الصغير على الكبير، ومن الكبير على الصغير، والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير. «الفروق اللغوية» (1/ 130).



حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الصَّقَرِ يَحْيَى بْنُ يَزْدَاز، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ أَفْلَحَ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى أَبِيهَا فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَتْ: «يَا أَبَتِ، اعْهَدْ إِلَى حَامَتِكَ، وَأَنْفِذْ رَأْيَكَ فِي سَامَتِكَ»⁽¹⁾، وَانْقُلْ مِنْ دَارِ جِهَازِكَ إِلَى دَارِ مُقَامِكَ⁽²⁾؛ إِنَّكَ مَحْضُورٌ⁽³⁾، مَتَّصِلٌ بِقَلْبِي لَوْعَتِكَ⁽⁴⁾، وَأَرَى تَحَاذُلَ أَطْرَافِكَ⁽⁵⁾، وَانْتِقَاعَ لُونِكَ⁽⁶⁾، وَإِلَى اللَّهِ تَعَزِّيَّتِي عَنْكَ، وَلَدَيْهِ ثَوَابُ حُزْنِي عَلَيْكَ، أَرْقًا فَلَا أَرْقَى⁽⁷⁾، وَأَبْلَ فَلَا أَنْقَى⁽⁸⁾.

-
- 1 الحامة: العامة. وخاصة الرجل من أهله وولده. والسامة: الخاصة، ويروى: «اعهد إلى عامتك، وأنفذ رأيك في خاصتك».
 - 2 أي: من دنياك إلى آخرتك.
 - 3 أي: قد حضر أجلك.
 - 4 اللوعة: حُرقة الحزن.
 - 5 أي: ضعفها.
 - 6 أي: تَغَيَّرَ، ويروى: «امتقاع».
 - 7 اسْكُنْ فَلَا أَسْكُنْ. أَرْقًا الدمع ونحوه: سكنه.
 - 8 أي: أرتشف الماء فلا أروى، وذلك من مَضُض الحزن، وَلَوَعْتُهَا عليه. وأنقى العود: جرى فيه الماء وابتل.



قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «يَا أُمُّهُ» ⁽¹⁾، هَذَا يَوْمٌ يُجَلَّى لِي عَنْ غِطَائِي، وَأُعَايِنُ جَزَائِي؛ إِنْ فَرَحَ فِدَائِمُ ⁽²⁾، وَإِنْ تَرَحَّحَ فَمُقِيمٌ، إِنِّي اضْطَلَعْتُ بِإِمَامَةِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ حِينَ كَانَ التُّكُوصُ إِضَاعَةً، وَكَانَ الْخَطُوءُ تَفْرِيطًا، فَشَهِدِي اللَّهُ مَا كَانَ بَقَلْبِي إِلَّا إِيَّاهُ.

تَبَلَّغْتُ بِصَخْفَتِهِمْ ⁽³⁾، وَتَعَلَّلْتُ بِدَرَّةٍ لِقَحَتِهِمْ ⁽⁴⁾، وَأَقَمْتُ صَلَاتِي ⁽⁵⁾ مَعَهُمْ فِي إِدَامَتِهِمْ، لَا مُخْتَالًا أَشْرًا، وَلَا مُكَاثِّرًا بَطِرًا، لَمْ أَعُدْ سَدَّ الْجُوعَةِ، وَوَرِي الْعَوْرَةِ ⁽⁶⁾، وَإِقَامَةَ الْقَوَامِ، حَاضِرِي اللَّهَ مِنْ طَوَى مُعْضٍ ⁽⁷⁾ تَهْفُو مِنْهُ الْأَحْشَاءُ ⁽⁸⁾، وَتُجَبُّ لَهُ الْمِعَا ⁽⁹⁾، وَاضْطَرَرْتُ إِلَى ذَاكَ اضْطِرَارَ الْبَرِصِ ⁽¹⁰⁾ إِلَى الْمَعْتَبِ الْآجِنِ ⁽¹¹⁾.

1 هذا من الاستعمال المجازي؛ فالعرب تُجْري على البنت النداء بالأم؛ تَكْرِيمًا لَهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: «الْبِنْتُ أُمُّ أَبِيهَا»؛ دَلِيلًا عَلَى شَفَقَتِهَا وَرَحْمَتِهَا، أَوْ أَنَّ يَكُونُ هَذَا مِنْ بَابِ أَنَّهَا ابْنَتُهُ وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَهُوَ يَخَاطَبُهَا بِهَذِهِ النِّسْبَةِ الْمُشْرِفَةِ.

2 هَكَذَا بِالرَّفْعِ، وَلَعَلَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ كَانَ التَّامَةِ، أَيْ: إِنْ كَانَ فَرَحٌ فَهُوَ دَائِمٌ.

3 التَّبْلُغُ: الْاِكْتِفَاءُ بِأَيْسَرِ مَا يُلْزَمُ. وَالصَّخْفَةُ: قِصْعَةُ الطَّعَامِ.

4 التَّعَلُّلُ كَالْتَّبْلُغِ، وَاللَّقْحَةُ: النَّاقَةُ. وَدَرَّتْهَا: مَا يُدْرُ مِنْ لَبْنِهَا.

5 الصَّلَا: وَسَطُ الظَّهْرِ. وَإِقَامَةُ صَلَاةٍ: كُنَايَةُ عَنْ اسْتِقَامَتِهِ.

6 أَيْ: سَتَرَهَا. وَمُرَادُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَى أَقْلٍ مَا يَكْفِي لِقَوْتِهِ غَيْرِ مُسْتَكْثَرٍ.

7 أَيْ: مِنْ جُوعٍ مَحْزَنٍ. وَمَعْضٌ مِنَ الْأَمْرِ: شَقٌّ عَلَيْهِ، وَأَوْجَعُهُ

8 أَيْ: تَضَعُفُ.

9 الْمِعَا: وَاحِدُ الْأَمْعَاءِ، وَهِيَ الْمَصَارِينُ، وَتُجَبُّ: تَنْقَطِعُ.

10 الْفَقِيرُ. وَبَرِصٌ: أَيْ: نَفَدَ مَا عِنْدَهُ لِكَثْرَةِ عَطَائِهِ.

11 الرَّدِيءُ الْمَتَغَيِّرُ مِنْ طَعَامٍ وَمَاءٍ.



فَإِذَا أَنَا مِثُّ فَرْدِي إِلَيْهِمْ صَحَّفَتَهُمْ، وَلِقَحَّتَهُمْ، وَعَبَدَهُمْ، وَرَحَاهُمْ، وَدَثَارَةَ مَا فَوْقِي انْتَقَيْتُ بِهِ أَذَى الْبَرْدِ، وَوِثَارَةَ مَا تَحْتِي انْتَقَيْتُ بِهِ نِزَّ الْأَرْضِ، كَانَ حَشْوُهَا قِطْعَ السَّعْفِ الْمُشَعِّ (1).

قَالَ: وَدَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: «يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَلَّفْتَ الْقَوْمَ بَعْدَكَ تَعَبًا، وَوَلَّيْتَهُمْ نَصَبًا، فَهَيْهَاتَ مَنْ يَشُقُّ غُبَارَكَ (2)، فَكَيْفَ بِاللَّحَاقِ بِكَ؟!» (3).

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ: عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ يَوْمَ الْحَكَمَيْنِ (4):

«رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَتِ! فَلَمَّا أَقَامُوا الدُّنْيَا لَقَدْ أَقَمْتَ الدِّينَ حِينَ وَهِيَ شَعْبُهُ، وَتَفَاقَمَ صَدْعُهُ (5)، وَرَجَفَتْ جَوَانِبُهُ، انْقَبَضَتْ عَمَّا إِلَيْهِ أَصْغَوْا (6)، وَشَمَّرَتْ فِيمَا عَنْهُ وَتَوَّا (7)، وَأَصْغَرْتَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَعْظَمُوا، وَرَغِبْتَ بِدِينِكَ عَمَّا أَغْفَلُوا، أَطَالُوا

1 السَّعْفُ: سَعْفُ النَخْلِ المعروف. والمَشَعُّ: المنقوش، أي: الغير مضغوط.

2 أي: من يجري معك في ميدانك.

(3) أخرجه أبو يعلى في «معجمه»، برقم: (87)، وأخرجه ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (3/194).

4 بين يوم التحكيم الذي وقع بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ للاتفاق على وأد الفتنة والقتال بينهما؛ فقد أناب فيه عليُّ أبا موسى الأشعري، وأناب معاوية عمرو بن العاص رضي الله عنهم جميعًا.

5 أي: حين ضعف، واتَّسَعَ خَرْقُهُ.

(6) انقبضت: أي: تراجعت. وأصغوا: أي: مالوا.

7 تأخروا.



عِنَانَ الْأَمَلِ، وَاقْتَعَدَتْ مَطِيَّ الْحَذَرِ ⁽¹⁾، فَلَمْ تَهْتَضُمْ دِينَكَ ⁽²⁾، وَلَمْ تَنْسَ عَدَاكَ؛ فَفَازَ عِنْدَ الْمُسَاهِمَةِ قَدْحُكَ ⁽³⁾، وَخَفَّ مِمَّا اسْتَوَزَرُوا ظَهْرُكَ ⁽⁴⁾» ⁽⁵⁾.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ الْوَرْكَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ أَقْبَلَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَتْ: «أَقْتُلْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟»، قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَتْ: «فَرَحِمَهُ اللَّهُ، وَغَفَرَ لَهُ، أَمَا -وَاللَّهِ- لَقَدْ كُنْتُمْ إِلَى تَشْيِيدِ -وَيُرْوَى: إِلَى تَسْيِيدِ- الْحَقِّ وَتَأْيِيدِهِ، وَإِعْزَازِ الْإِسْلَامِ وَتَأْكِيدِهِ، أَحْوَجَ مِنْكُمْ إِلَى مَا نَهَضْتُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَةٍ مَنْ خَالَفَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ كَلَّمَا زَادَكُمْ اللَّهُ نِعْمَةً فِي دِينِكُمْ، ازدَدْتُمْ تَثَاقُلًا فِي نُصْرَتِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاكُمْ.

أَمَا -وَاللَّهِ- لَهْدُمُ النَّعْمَةِ أَيْسَرُ مِنْ بِنَائِهَا، وَمَا الزِّيَادَةُ إِلَيْكُمْ بِالشُّكْرِ بِأَسْرَعَ مِنْ زَوَالِ النَّعْمَةِ عَنْكُمْ بِالْكَفْرِ ⁽⁶⁾، وَإِيمُ اللَّهِ ⁽⁷⁾، لَئِنْ كَانَ فَنِي أَكُلُهُ ⁽⁸⁾، وَاخْتَرَمَهُ

(1) المطي: جمع مطية، وهي الناقة التي يُركب مطاها، أي: ظهرها.

(2) أي: لم تنقص منه، أو تنتقص.

3 أي: فاز سهمك عند المساهمة، وهي المسابقة، تُكَنَّى بذلك عن سبقه في ميدان العمل لصالح الدين والدنيا حتى فاق فضله على غيره.

(4) أي: خَفَّ ظَهْرُكَ مِمَّا وَقَعُوا فِيهِ مِنْ أَوْزَارٍ؛ فَعَاثَكَ اللَّهُ مِنْهَا.

(5) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (442/30)، والدينوري في «المجالسة» (94/6).

6 كفر النعمة: سترها، أو عدم تصريفها في الوجوه المشروعة.

7 إيم الله: للقسم، والتقدير: يمين الله قسمي، ومثله: أما ويمين الله.

(8) أي: انقطع رزقه وحظه من الدنيا.



أَجَلُهُ⁽¹⁾، لَقَدْ كَانَ عِنْدَ رَسُولِ كَذِرَاعِ الْبَكَرِ الْأَزْهَرِ⁽²⁾، وَلَئِنْ كَانَتْ الْإِبِلُ أَكَلَتْ أَوْبَارَهَا⁽³⁾؛ إِنَّهُ لَصِهْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَلَقَدْ عَاهَدْتُ النَّاسَ يَرْهَبُونَ فِي تَشْدِيدٍ، ثُمَّ قُدِحَ⁽⁴⁾ حُبُّ الدُّنْيَا فِي الْقُلُوبِ، وَنُبِذَ الْعَدْلُ⁽⁵⁾ وَرَاءَ الظُّهُورِ، وَلَئِنْ كَانَ بَرَكَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بِزَوْرِهِ⁽⁶⁾، وَأَنَاخَ عَلَيْهِ بِكُلِّكِلِهِ⁽⁷⁾، إِنَّهَا لِنَوَائِبٍ تَتْرَى⁽⁸⁾، تَلْعَبُ بِأَهْلِهَا وَهِيَ جَادَّةٌ، وَتَجِدُّ بِهِمْ وَهِيَ لَاعِبَةٌ. وَلَعَمْرِي، لَوْ أَنَّ أَيْدِيَكُمْ - (وَيُرْوَى: أَيْدِيهِمْ) - تَقْرَعُ صِفَاتِهِ، لَوَجَدْتُمُوهُ عِنْدَ تَلْظِي الْحَرْبِ مُتَجَرِّدًا⁽⁹⁾، وَلِسُيُوفِ النَّصْرِ مُتَقَلِّدًا، وَلَكِنَّهَا فِتْنَةٌ قَدَحَتْ فِيهَا أَيْدِي الظَّالِمِينَ.

1 أي: قطعت مَنِيَّتَهُ.

2 البكر: الفَقِيُّ من الإبل. والأزهر: الأقوى.

3 هذا مَثَلٌ يُضْرَبُ لَوْقُوعِ أَشْنَعِ وَأَبْعَدِ مَا يَرْتَكِبُهُ الْمُعْتَدِي، تَرِيدُ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ حَصَلَ مَا حَصَلَ، فَإِنَّهُ عَثْمَانُ صِهْرُ الرَّسُولِ ﷺ لَا يُنْكَرُ فَضْلُهُ، وَلَا يَذْهَبُ دُمُهُ هَدْرًا.

4 أي: اشتعل.

5 ويُروى: العهد.

6 بثقله.

7 الكلكل: وسط الصدر، وهي كناية عن الحِمْلِ الثَقِيلِ الَّذِي تَحْمَلُهُ.

8 أي: تَتَابَعَ وَتَتَوَالَى.

9 مجتهدًا متفرغًا.



أَمَّا وَاللَّهِ، لَقَدْ حَاطَ الْإِسْلَامَ وَأَكَّدَهُ، وَعَضَّدَ الدِّينَ وَأَيَّدَهُ، وَلَقَدْ هَدَمَ اللَّهُ بِهِ صَيَاصِيَّ الْكُفْرِ⁽¹⁾، وَقَطَعَ بِهِ دَايِرَ الْمُشْرِكِينَ، وَوَقَمَ بِهِ⁽²⁾ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ، فَلِلَّهِ الْمُصِيبَةُ بِهِ مَا أَفْجَعَهَا! وَالْفَجِيعَةُ بِهِ مَا أَوْجَعَهَا!

صَدَعَ اللَّهُ بِمَقْتَلِهِ صَفَاةَ الدِّينِ، وَثَلَمَتْ⁽³⁾ مُصِيبَتُهُ ذُرْوَةَ الْإِسْلَامِ بَعْدَهُ⁽⁴⁾، وَجَعَلَ لِحَيْرِ الْأُمَّةِ عَهْدَهُ.

قَالَ: وَعَيَّ⁽⁵⁾ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَتْ كَلَامَهَا، قَامَ وَهُوَ يَقُولُ: «أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى قَتْلَتِهِ شِهَابًا ثَاقِبًا، وَعَذَابًا وَاصِبًا⁽⁵⁾».

وَرُوي أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ: «مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرٌ، تَكُونُ فِي الْعَبْدِ دُونَ سَيِّدِهِ، وَفِي الْحَامِلِ دُونَ الْمَذْكُورِ، وَفِي الْمَسُودِ دُونَ السَّيِّدِ:

صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَالصَّدْقُ، وَالصَّبْرُ فِي الْبَأْسِ، وَالتَّذَنُّمُ لِلصَّاحِبِ⁽⁶⁾، وَالتَّذَنُّمُ لِلجَّارِ، وَالْإِعْطَاءُ فِي النَّائِبَةِ، وَإِطْعَامُ الْمِسْكِينِ، وَالرَّفْقُ بِالْمَمْلُوكِ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ».

1 الصَّيَاصِي: جمع صيصة، وهي الحصن.

2 الْوَقَم: الكسر والتذليل.

3 كسرت.

4 ذروة الشيء: أعلاه.

5 الثاقب: المتقد. والواصب: الدائم.

(6) التذمم: حفظ الدِّمام والحرمة والعهد.



وَيُرَوَّى: «مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرَةٌ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَصِدْقُ الْبَأْسِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَالْمُكَافَأَةُ بِالصَّنِيعِ، وَبَدْلُ الْمَعْرُوفِ، وَالتَّذَمُّمُ لِلصَّاحِبِ، وَقِرَى الضَّيْفِ، وَرَأْسُهُنَّ الْحَيَاءُ»⁽¹⁾.



(1) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (370/61).



كَلَامُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ⁽¹⁾

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ دِيَارِ مِصْرَ؛ لَقِيْتَهُ بِالرَّافِقَةِ⁽²⁾، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ عِيسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ الْأَحْمَرُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، عَنْ عَمَّتِهِ زَيْنَبِ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَتْ: «لَمَّا بَلَغَ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ إِجْمَاعَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى مَنَعِهَا فَدَكَ⁽³⁾، لَأَثَتْ خِمَارَهَا، وَخَرَجَتْ فِي حَشْدَةٍ نِسَائِهَا، وَلَمَّةٍ مِنْ قَوْمِهَا تَجُرُّ

(1) فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بنت رسول الله ﷺ، أم الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء أهل الجنة، تزوجها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السنة الثانية من الهجرة، وماتت بعد النبي ﷺ بستة أشهر، وقد جاوزت العشرين بقليل. «الإصابة في معرفة الصحابة» (53/8)، «تقريب التهذيب» (ص 751).

(2) الرافقة: بلدٌ متصل البناء بالرقعة، وهما على ضفة الفرات، وبينهما مقدار ثلاث مائة ذراع. «معجم البلدان» (15/3).

(3) أي: إرثها من فَدَكَ، وهي قرية في الحجاز، كان يسكنها طائفةٌ من اليهود، ولمَّا فرغ الرسول ﷺ من خيبر، قذف الله عَرَجَلًا في قلوبهم الرعب، فصالحوا رسول الله ﷺ على فَدَكَ، فكانت مِلْكًا لرسول الله ﷺ؛ لأنها مما لم يُوجف عليها بخيل ولا رِكَاب.



أَدْرَاعَهَا⁽¹⁾، مَا تَحْرُمُ مِنْ مَشِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ فِي حَشْدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، فَأَنْتَ أَنَّ أَجْهَشَ لَهَا الْقَوْمَ بِالْبُكَاءِ، فَلَمَّا سَكَتَتْ فَوَرَّثَهُمْ⁽²⁾، قَالَتْ:

«أَبْدَأُ بِحَمْدِ اللَّهِ»، ثُمَّ أَسْبَلَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمْ سَجْفًا⁽³⁾، ثُمَّ قَالَتْ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أُنْعِمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ، وَالثَّنَاءُ بِمَا قَدَّمَ مِنْ عُمُومٍ نِعَمٍ ابْتَدَاهَا، وَسُبُوغُ آلَاءِ أَسْدَاهَا⁽⁴⁾، وَإِحْسَانُ مَنِّ وَالْأَهَا، جَمَّ عَنِ الْإِحْصَاءِ عَدَدُهَا⁽⁵⁾،

وقد أخرج البخاري (3711، 3712) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ وَفَدَّكَ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمْسٍ خَيْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا نُورُثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ - يَعْنِي: مَالُ اللَّهِ - لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكُلِ»، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَشْهَدُ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ، وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَقَّهُمْ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي».

(1) الأذراع: جمع الدرع، والمعنى: تجرُّ ثيابها.

(2) أي: روعهم من البكاء.

(3) أي: أرخت سترًا.

(4) سُبُوغُ النَّعَمِ: اتِّسَاعُهَا. وَالْإِسْدَاءُ: الْإِحْسَانُ.

(5) جَمَّ: كَثُرَ.



وَنَاءَى عَنِ الْمَجَازَاةِ أَمْدَهَا⁽¹⁾، وَتَفَاوَتْ⁽²⁾ عَنِ الْإِدْرَاكِ آمَالُهَا، وَاسْتَتْنُ الشُّكْرَ بِفَضَائِلِهَا⁽³⁾، وَاسْتَحَمَدَ إِلَى الْخَلَائِقِ بِأَجْزَالِهَا، وَثَنَى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا⁽⁴⁾.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ كَلِمَةً جَعَلَ الْإِخْلَاصَ تَأْوِيلَهَا، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَهَا⁽⁵⁾، وَأَتَى فِي الْفِكْرَةِ مَعْقُولَهَا⁽⁶⁾، الْمُتَمَتَّعَ مِنَ الْأَبْصَارِ رُؤْيَاهَا، وَمِنَ الْأَوْهَامِ الْإِحَاطَةَ بِهِ، ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ، وَاحْتَدَاهَا بِلَا مِثَالٍ⁽⁷⁾، لِغَيْرِ فَائِدَةٍ زَادَتْهُ إِلَّا إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّدًا لِبَرِّيَّتِهِ، وَإِعْزَازًا لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ زِيَادَةً⁽⁸⁾ لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَجِيَاشًا⁽⁹⁾ لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ اخْتَارَهُ قَبْلَ أَنْ يَجْتَبِيَهُ⁽¹⁰⁾، وَاصْطَفَاهُ

(1) الأمد: الغاية.

(2) تَبَاعَدَ.

(3) استتن: استحقق.

(4) النذب، مِنْ نَدَبَهُ إِلَى الْأَمْرِ: دَعَاهُ وَحَثَّهُ.

(5) موصول كلمة لا إله إلا الله: توحيدِهِ وَخَشْيَتِهِ.

(6) أَتَى: أَيْ: بَلَغَ غَايَتَهُ.

(7) أَيْ: قَدَّرَهَا بِلَا شَبِيهِ.

(8) أَيْ: دَفَعًا لَهُمْ.

(9) أَيْ: إِقْبَالًا.

(10) يَخْلُقُهُ.



قَبْلَ أَنْ ابْتَعَثَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنْ اسْتَنْجَبَهُ⁽¹⁾؛ إِذِ الْخَلَائِقُ بِالْغُيُوبِ مَكْنُونَةٌ، وَبَسِطَ الْأَهَاوِيلَ⁽²⁾ مَصُونَةً، وَبِنَهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةً عِلْمًا مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِمَا يَلِ الْأُمُورِ⁽³⁾، وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاضِعِ الْمَقْدُورِ.

ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّوَجَلَّ إِمَامًا لِأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ، فَرَأَى الْأَمَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِرْقًا فِي أَدْيَانِهَا، عُكْفًا عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا، مُنْكَرَةً لِلَّهِ مَعَ عِرْقَانِهَا، فَأَنَارَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ظُلْمَهَا، وَفَرَّجَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا⁽⁴⁾، وَجَلَّى عَنِ الْأَبْصَارِ غُمَمَهَا⁽⁵⁾، ثُمَّ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهَ قَبْضَ رَافَةٍ وَاخْتِيَارَ رَغْبَةً - بِأَبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - عَنْ هَذِهِ الدَّارِ مَوْضُوعٌ عَنْهُ الْعِبَاءُ وَالْأَوْزَارُ، مُحْتَفٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ، وَمُجَاوِرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ، وَرِضْوَانِ الرَّبِّ الْعَفَّارِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ؛ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَأَمِينِهِ عَلَى وَحْيِهِ، وَصَفِيِّهِ مِنَ الْخَلَائِقِ وَرَضِيِّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

ثُمَّ أَنْتُمْ عِبَادَ اللَّهِ - (تريد: أهل المجلس) - نصب أمر الله ونهيه⁽⁶⁾،

(1) اختاره.

(2) الأهاويل: جمع أهوال، واحدها: هول. وهي المخافة من الأمر لا يُدري، تشير إلى حيرة الناس قبل بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(3) بمصائرهما.

(4) شُبَّهَهَا.

(5) ظَلَمَهَا.

(6) أي: مستقبلين لهما.



وَحَمَلَةً دِينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأَمَنَاءَ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَبُلْغَاؤُهُ إِلَى الْأُمَمِ، زَعَمْتُمْ حَقًّا لَكُمْ، اللَّهُ فِيكُمْ عَهْدٌ قَدَّمَهِ إِلَيْكُمْ، وَنَحْنُ بَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفْنَا عَلَيْكُمْ، وَمَعَنَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَهُ بَصَائِرُهُ، وَآيٌ فِيْنَا ⁽¹⁾ مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرِهِ، وَبُرْهَانٌ مُنْجَلِيَّةٌ ظَوَاهِرِهِ، مُدِيمٌ الْبَرِّيَّةَ إِسْمَاعِهِ، قَائِدٌ إِلَى الرِّضْوَانِ اتِّبَاعِهِ، مُؤَدِّ إِلَى النِّجَاةِ اسْتِمَاعِهِ، فِيهِ بَيَانٌ حُجَجِ اللَّهِ الْمُنَوَّرَةِ، وَعَزَائِمُهُ الْمُفَسَّرَةِ، وَمَحَارِمُهُ الْمُحَذَّرَةِ، وَتَبْيَانُهُ الْجَالِيَّةَ ⁽²⁾، وَجُمْلَةُ الْكَافِيَّةِ، وَفَضَائِلُهُ الْمَدْدُوبَةِ، وَرُخَصُهُ الْمَوْهُوبَةِ، وَشَرَائِعُهُ الْمَكْتُوبَةِ.

فَفَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيرًا لَكُمْ مِنَ الشَّرِكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهًا، عَنِ الْكِبَرِ، وَالصِّيَامَ تَثْبِيثًا لِلْإِحْلَاصِ، وَالزَّكَاةَ تَزْيِيدًا فِي الرِّزْقِ، وَالْحَجَّ تَسْلِيَةً لِلدِّينِ، وَالْعَدْلَ تَنْسُكًا لِلْقُلُوبِ، وَطَاعَتَنَا نِظَامًا، وَإِمَامَتَنَا أَمْنًا مِنَ الْفِرْقَةِ، وَحُبَّنَا عِزًّا لِلْإِسْلَامِ، وَالصَّبْرَ مَنَاجَاةً، وَالْقِصَاصَ حَقْنًا لِلدَّمَاءِ ⁽³⁾، وَالْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ تَعَرُّضًا لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَّةَ الْمَكَائِيلِ وَالْمَوَازِينِ تَعْبِيرًا لِلنَّحْسَةِ ⁽⁴⁾، وَالنَّهْيَ عَنِ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهًا عَنِ الرَّجْسِ، وَقَذْفَ الْمُحَصَّنَاتِ اجْتِنَابًا لِلْعَنَةِ ⁽⁵⁾، وَتَرْكَ السَّرْقِ إِجَابًا لِلْعَقَّةِ.

(1) أي: في توقير أهل البيت؛ كقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: (□ □ □ □ □) نِم □ □ □ □ □

[الشورى: 23].

(2) أي: فصاحته المبينة.

(3) قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: (تَمْ تَمْ تَمْ تَمْ □ □ □ □ □) [البقرة: 179].

(4) تعبيرًا، من عبر الدرهم أو المتاع: نَظَرُ مَا وَزَنُهَا. والنحسة: مَبْلَغُ أَصْلِ الشَّيْءِ.

(5) لزومًا لها.



وَحَرَّمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ الشَّرْكَ إِخْلَاصًا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تُمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَأَطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

ثُمَّ قَالَتْ: «أَيُّهَا النَّاسُ! أَنَا فَاطِمَةُ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، أَقُولُهَا عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128].

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْعَبْدِيُّ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلْوَانَ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: «يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفًا رَحِيمًا، وَعَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا، وَإِذَا عَزَوْنَاهُ ⁽¹⁾ كَانَ أَبَاكَ دُونَ النِّسَاءِ، وَأَخَ ابْنِ عَمِّكَ ⁽²⁾ دُونَ الرَّجَالِ، آثَرَهُ عَلَى كُلِّ حَمِيمٍ ⁽³⁾، وَسَاعَدَهُ عَلَى الْأَمْرِ الْعَظِيمِ ⁽⁴⁾ لَا يُحِبُّكُمْ إِلَّا الْعَظِيمُ السَّعَادَةِ، وَلَا يُبْغِضُكُمْ إِلَّا الرَّدِيءُ الْوِلَادَةِ.

وَأَنْتُمْ عِتْرَةُ اللَّهِ ⁽⁵⁾ الطَّيِّبُونَ، وَخَيْرَةُ اللَّهِ الْمُنتَخِبُونَ، عَلَى الْآخِرَةِ أَدِلُّنَا، وَبَابُ الْجَنَّةِ لِسَالِكِينَا، وَأَمَّا مَنْعُكَ مَا سَأَلْتُ، فَلَا ذَلِكَ لِي، وَأَمَّا فَدَكَ، وَمَا جَعَلَ

(1) أي: تَسَبَّنَاهُ.

(2) أي: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(3) أي: فَضَّلَهُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ.

(4) الجهاد في نُصْرَةِ الدِّينِ.

(5) أي: أوليائِهِ.



لَكَ أَبُوكَ، فَإِنْ مَنَعْتُكَ فَأَنَا ظَالِمٌ، وَأَمَّا الْمِيرَاثُ، فَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: «لَا تُورَثُ، مَا أَبْقَيْنَاهُ صَدَقَةً»⁽¹⁾.

قَالَتْ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ عَنْ نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبُ﴾»
[مريم: 6]، وَقَالَ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ [النمل: 16]؛ فَهَذَانِ نَبِيَّانِ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ
النُّبُوَّةَ لَا تُورَثُ، وَإِنَّمَا يُورَثُ مَا دُونَهَا، فَمَا لِي أُمْنَعُ إِرْثَ أَبِي؛ أَلَّا نَزَلَ اللَّهُ فِي
الْكِتَابِ إِلَّا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، فَتَدُلَّنِي عَلَيْهِ، فَأَقْنَعُ بِهِ.

فَقَالَ: «يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتِ عَيْنُ الْحُجَّةِ، وَمَنْطِقُ
الرِّسَالَةِ، لَا يُدْلِي بِجَوَابِكَ»⁽²⁾، وَلَا أَدْفَعُكَ عَنْ صَوَابِكَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو الْحَسَنِ
بَيْنِي وَبَيْنِكَ⁽³⁾ هُوَ الَّذِي أَخْبَرَنِي بِمَا تَفَقَّدْتِ⁽⁴⁾، وَأَنْبَأَنِي بِمَا أَخَذْتَ وَتَرَكْتِ».
قَالَتْ: «فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَصَبْرًا لِمَرِّ الْحَقِّ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَهَ

(1) أخرجه بنحوه البخاري (3092)، ومسلم (1759)، وأخرج البخاري (6730)، ومسلم (1758) أيضًا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَيَسْأَلَنَّهُ مِيرَاثَهُنَّ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! قَالَتْ عَائِشَةُ لهن: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ».

(2) أي: لا يُحتج عليه.

(3) أي: عليٌّ زوجها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(4) طَلَبْتُ.

(1) أخرج البيهقي بسنده في «السنن الكبرى» (491 / 6) عن الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا مَرَضَتْ فاطمةُ أتاها أبو بكر الصَّدِّيقُ فاستأذن عليها، فقال عليٌّ: **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يا فاطمة، هذا أبو بكر يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ! فقالت: أَحَبُّ أَنْ أَدْنَ لَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَذْنَتْ لَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَتَرَضَّاهَا، فقال: واللَّهِ مَا تَرَكْتُ الدَّارَ وَالْمَالَ وَالْأَهْلَ وَالْعَشِيرَةَ إِلَّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَمَرْضَاةِ رَسُولِهِ وَمَرْضَاتِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، ثُمَّ تَرَضَّاهَا حَتَّى رَضِيتُ». وقال: «هَذَا مُرْسَلٌ حَسَنٌ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ».

وقال الحلبي في «سيرته» (478 / 3): «ومعنى هجرانها لأبي بكر رضي الله تعالى عنه: أَنَّهَا لَمْ تَطْلُبْ مِنْهُ حَاجَةً، وَلَمْ تَضْطُرْ إِلَى لِقَائِهِ إِذْ لَمْ يُنْقَلْ أَنَّهَا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا لَقِيَّتِهِ وَلَمْ تُسَلِّمْ عَلَيْهِ وَلَا كَلَّمَتْهُ، وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ جَاءَ إِلَى بَيْتِ عَلِيٍّ لَمَّا مَرَضَتْ فَاطِمَةُ؛ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: هَذَا أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْبَابِ يَسْتَأْذِنُ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذِنِي فَأَذْنِي! قالت: وَذَاكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ! قال: نعم. فَأَذْنَتْ لَهُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - فَدَخَلَ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهَا؛ فَرَضِيتُ عَنْهُ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - صَلَّى عَلَيْهَا».

وهذا يدلُّ عَلَى أَنَّ فَاطِمَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** تَرَكْتَ مُحَاصِمَةَ أَبِي بَكْرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وَعَلِمْتَ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ، وَأَذْنَعْتَ لَهُ، وَصَبَرْتَ نَفْسَهَا عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ تُوَفِّيَتْ عَلَى الرَّاجِحِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِسِتَةِ أَشْهُرٍ، وَانْشَغَلَتْ فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ بِالْحُزْنِ عَلَى أَبِيهَا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَبِعِبَادَةِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.



كَلَامُ أُمِّ كُلْثُومٍ عَلَيْهَا السَّلَامُ ⁽¹⁾

عن سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَمِيرِيِّ أَبُو مُعَاذٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ حَذَامِ الْأَسَدِيِّ - وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: حَازِمٌ - قَالَ:

قَدِمْتُ الْكُوفَةَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَأَيْتُ نِسَاءَ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَوْمَئِذٍ يَلْتَدِمْنَ مُهْتَكَاتِ الْجُبُوبِ ⁽²⁾، وَرَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَهُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ ضَّئِيلٍ، وَقَدْ نَحَلَ مِنَ الْمَرَضِ:

(1) هِيَ أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيَّةِ. أُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلِدَتْ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَرَأَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ تَرَوْهُ عَنْهُ شَيْئًا، خَطَبَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهِيَ صَغِيرَةٌ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عَلَى مَهْرٍ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنَيْنِ زَيْدًا وَرُقَيَّةً، وَمَاتَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ وَوَلَدُهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، أَصِيبَ زَيْدٌ فِي حَرْبٍ كَانَتْ بَيْنَ بَنِي عَدِيٍّ، فَخَرَجَ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ؛ فَشَجَّهَ رَجُلٌ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فِي الظُّلْمَةِ، فَعَاشَ أَيَّامًا، وَكَانَتْ أُمُّهُ مَرِيضَةً فَمَاتَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ. «سير أعلام النبلاء» (3/ 500)، «الإصابة في تمييز الصحابة» (8/ 464).

(2) يَلْتَدِمْنَ: يَلْطَمْنَ. وَمُهْتَكَاتُ: مُقَطَّعَاتُ. وَالْجُبُوبُ: جَمْعُ جَيْبٍ، وَهُوَ طَوِّقُ الْقَمِيصِ.



«يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، إِنَّكُمْ تَبْكُونَ عَلَيْنَا، فَمَنْ قَتَلَنَا غَيْرَكُمْ»^(١)...

ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَهُوَ عَلَى لَفْظِ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ^(٢).

وَأَخْبَرَ هَارُونَ بْنُ مُسْلِمٍ بِنِ سَعْدَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ الْبَصْرِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: «لَمَّا أُدْخِلَ بِالنِّسْوَةِ مِنْ كَرْبَلَاءَ»^(٣) إِلَى الْكُوفَةِ كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - ضَيِّلاً قَدْ نَهَكَتُهُ الْعِلَّةُ^(٤)، وَرَأَيْتُ نِسَاءَ أَهْلِ الْكُوفَةِ مُشَقَّقاتِ الْجُيُوبِ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَرَفَعَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - رَأْسَهُ، فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ هَؤُلَاءَ يَبْكِينَ؛ فَمَنْ قَتَلَنَا؟».

وَرَأَيْتُ أُمَّ كُلْثُومٍ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَلَمْ أَرَ خَفِيزَةَ^(٥) - وَاللَّهِ - أَنْطَقُ مِنْهَا^(٦)،

(١) لِأَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ كَانُوا قَدْ كَاتَبُوا الْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْبَيْعَةِ لَهُ وَنُصْرَتِهِ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ، وَوَعْدُوهُ بِالْقِيَامِ مَعَهُ إِنْ قَدِمَ إِلَيْهِمْ؛ فَلَمَّا أَتَاهُمُ الْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَذَلُوهُ، فَقَتَلَهُ عَسْكَرُ يَزِيدَ.

(٢) أَي: كَمَا فِي حَدِيثِهِ الْآتِي الَّذِي ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: «وَأَخْبَرَ هَارُونَ...»، إلخ.

(٣) الْمَوْضِعُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أَي: أَضْعَفَهُ الْمَرَضُ.

(٥) الْحَفِيزَةُ: الْكَثِيرَةُ الْحَيَاءِ.

(٦) أَفْصَحَ نُطْقًا.



كَأَنَّمَا تَنْطِقُ وَتُفْرَغُ عَلَى لِسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ⁽¹⁾، وَقَدْ أَوْمَأَتْ إِلَى النَّاسِ أَنْ اسْكُتُوا.

فَلَمَّا سَكَنَتِ الْأَنْفَاسُ، وَهَدَأَتِ الْأَجْرَاسُ⁽²⁾ قَالَتْ: «أَبْدَأُ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى جَدِّي، أَمَّا بَعْدُ:

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يَا أَهْلَ الْخَتْرِ⁽³⁾ وَالْخَذَلِ، أَلَا فَلَا رَقَاتِ الْعَبْرَةِ⁽⁴⁾، وَلَا هَدَأَتِ الرِّتَّةُ⁽⁵⁾، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ⁽⁶⁾، أَلَا وَهَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلَفُ وَالشَّنْفُ، وَمَلَقَ الْإِمَاءَ، وَغَمَزَ الْأَعْدَاءَ⁽⁷⁾!؟

(1) المراد: أَنَّهَا مِنْ فَصاحتِهَا كَأَنَّ كَلَامَهَا ككَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) الأصوات.

(3) الغدر والحديعة.

(4) الدِّمعة قبل أن تفيض. ورقأت: سَكَنَتْ.

(5) الصَّوت.

(6) الدَّخْل: الغدر، والحديعة والمكر.

وهو اقتباس من قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا

تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) [النحل: 92].

(7) الصَّلَف: الادِّعاء تَكَبُّرًا. والشَّنْف: البُغْض والتَّنَكُّر. وملق الإماء: جِماع المملوكات. والغَمْز:

ظهور العيب، أو الطعن، أو التَّهمة.



وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا كَمَرَعَى عَلَى دِمْنَةٍ^(١)، وَكَفِضَةٍ عَلَى مَلْحُودَةٍ^(٢)؟!

أَلَا سَاءَ مَا قَدَّمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ^(٣)!

أَتَبْكُونَ؟ إِي وَاللَّهِ فَابِكُوا، وَأَنْتُمْ -وَاللَّهِ- أَحْرِيَاءُ بِالْبُكَاءِ^(٤)، فَابِكُوا كَثِيرًا، وَاضْحَكُوا قَلِيلًا؛ فَلَقَدْ فُزْتُمْ بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا^(٥)، وَلَنْ تَرْحُضُوهَا^(٦) بِغَسَلٍ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَأَنْتِ تَرْحُضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدَنَ الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدَ شُبَّانِ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(٧)، وَمَنَارَ مَحَجَّتِكُمْ^(١)، وَمَدْرَةَ حُجَّتِكُمْ^(٢)، وَمَفْرَخَ نَارِ لَتِكُمْ^(٣)،

(١) الدِّمْنَةُ: آثَارُ الدَّارِ بَعْدَ الرَّحِيلِ عَنْهَا، فَإِذَا نَبَتَ فِيهَا زَرْعٌ كَانَ أَخْضَرَ نَاضِرًا؛ لِحُصُوبَةِ مَنِيبَتِهِ مِنْ بَقَايَا الدَّوَابِّ، وَالْمُرَادُ: إِلَّا كَمَنْظَرِ حَسَنِ فِي مَنِيبَتِ سُوءٍ.

(٢) مَدْفُونَةٌ، تُرِيدُ أَنَّهُمْ لَا يُنْتَفِعُ بِهِمْ.

(٣) اقْتِبَاسٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ**: (تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَبْلُغَ مَا

قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ [المائدة: ٨٠].

(٤) أَيُّ: جَدِيرُونَ.

(٥) الشَّنَارُ: أَقْبَحُ الْعَيْبِ. وَيُرْوَى: «ذَهَبْتُمْ بِعَارِهَا...»، إلخ.

(٦) تَطَهَّرُوهَا.

(٧) تعني: الحسين بن علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، وابن فاطمة بنت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي قال عنه

وعن أخيه الحسن: «الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». أخرجه الترمذي (3768) من

حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2965).



فَتَعَسَا وَنَكَسَا!

لَقَدْ حَابَ السَّعْيُ، وَخَسِرَتِ الصَّفَقَةُ، وَبُؤِثُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمُ الدَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا⁽⁴⁾، تَكَادَ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ⁽⁵⁾، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا⁽⁶⁾.

أَتَدْرُونَ أَيَّ كَيْدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرِيتُمْ⁽⁷⁾، وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ، وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ؛ لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا شَوْهَاءَ خَرْقَاءَ⁽⁸⁾ شَرَّهَا طِلَاعُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ⁽⁹⁾.

أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ فَطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى، وَهُمْ لَا

(1) المنار: العلم الذي يهتدى به. والمَحْجَة: قصد الطريق.

(2) المدره: الشَّريف القَدْر، القويُّ الحُجَّة.

(3) فَرَخَ رَوْعُه: أزاله عنه. والنازلة: المصيبة الشديدة.

(4) أي: شنيعًا مُنْكَرًا.

(5) يَتَشَقَّقْنَ مِنْهُ.

(6) اقْتَبَسَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (عَظِيمٌ ١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا

سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ (إِبراهيم: 90).

(7) شَقَقْتُمْ.

(8) شَوْهَاءَ: عَابِثَةٌ مَشْؤُومَةٌ. وَخَرْقَاءَ: مِنْ الْخَرْقِ، وَهُوَ الْإِسَاءَةُ فِي الْعَمَلِ.

(9) أي: مُلَوَّهًا.



يُنْظَرُونَ⁽¹⁾؛ فَلَا يَسْتَخَفُّنَكُمْ الْمَهْلُ، فَإِنَّهُ لَا تَحْفَظُهُ الْمُبَادَرَةُ⁽²⁾، وَلَا يَخَافُ عَلَيْهِ قَوْتُ الثَّأْرِ؛ كَلَّا إِنَّ رَبَّكَ - لَنَا وَلَهُمْ - لِبَالِمِرْصَادٍ. ثُمَّ وَلَّتْ عَنْهُمْ.

قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّاسَ حَيَارَى، وَقَدْ رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَرَأَيْتُ شَيْخًا كَبِيرًا مِنْ بَنِي جَعْفِي، وَقَدْ اخْضَلَّتْ⁽³⁾ لَحِيَّتُهُ مِنْ دُمُوعِ عَيْنَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

كُهُولُهُمْ خَيْرُ الْكُهُولِ وَنَسْلُهُمْ إِذَا عَدَّ نَسْلٌ لَا يُورِ وَلَا يُخْزَى

وَحَدَّثَنِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مَقْدَمِ الْمَقْدِسِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو مُعَاذٍ الْحِمَيْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، عَنْ حَدَّامِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَدِمْتُ الْكُوفَةَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَأَيْتُ نِسَاءَ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَوْمَئِذٍ يَلْتَدِمْنَ مُهْتَكَاتِ الْجُبُوبِ⁽⁴⁾، وَرَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَهُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ ضَّئِيلٍ، وَقَدْ نَحَلَ مِنَ الْمَرَضِ: «يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، إِنَّكُمْ تَبْكُونَ عَلَيْنَا، فَمَنْ قَتَلَنَا غَيْرَكُمْ؟!».

(1) اقتباس من قول الله جل جلاله عن قوم عاد: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَحْصَاتٍ

لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لَا يُصْرُونَ ﴿١٦﴾ [إفصحت: 16].

(2) أي: لا تدفعه المعالجة. والضمير يقصد به الله سبحانه وتعالى.

(3) انبثلت.

(4) سبق تفسير هذه الكلمات قريباً.



وَسَمِعْتُ أُمَّ كُلْثُومَ بِنْتَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَهِيَ تَقُولُ: «قَلَمَ أَرَّ خَفِرَةً -
وَاللَّهِ- أَنْطَقَ مِنْهَا كَأَنَّمَا تَنْزَعُ»⁽¹⁾ عَنْ لِسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ». وَأَشَارَتْ إِلَى النَّاسِ أَنْ أَمْسَكُوا»⁽²⁾، فَسَكَنْتِ الْأَنْفَاسُ، وَهَدَأَتْ، فَقَالَتْ:
«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ عَلَى جَدِّي سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَمَّا بَعْدُ: يَا أَهْلَ
الْكُوفَةِ...»، وَالْحَدِيثُ عَلَى لَفْظِ ابْنِ سَعْدَانَ»⁽³⁾.



(1) سبق تفسير ما هنا أيضًا، وقوله: «كأنما تنزع»، ويروى: «كأنما تُفرغ»، والمراد واحد.

(2) أي: اسكتوا.

(3) يعني الحديث السابق روايته قبل. وانظر «العواصم من القواصم» لابن العربي في (1/ 241)، و«التذكرة الحمدونية» لابن حمدون (6/ 264، 265).

كَلَامُ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ⁽¹⁾

وَقَالَ الْعُتَيْبِيُّ: قَالَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي مَرَضِ أَبِيهَا عُمَرَ: «يَا أَبَتَاهُ، مَا يُحْزِنُكَ وَفَادَتَكَ⁽²⁾ عَلَى رَبِّ رَحِيمٍ، وَلَا تَبِعَةَ⁽³⁾ لِأَحَدٍ عِنْدَكَ، وَمَعِيَ لَكَ بَشَارَةٌ لَا أُذِيعُ السَّرَّ مَرَّتَيْنِ، وَنِعَمَ الشَّفِيعَ لَكَ الْعَدْلُ، لَمْ تَخَفْ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ خَشْنَةَ عَيْشَتِكَ، وَعَفَافَ نَهْمَتِكَ⁽⁴⁾، وَأَخَذَكَ بِأَكْظَامِ⁽⁵⁾ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ».

ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

(1) هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ خَنِيْسِ بْنِ حِذَافَةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ، وَمَاتَتْ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ. «الْإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ» (85 / 8)، «سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (227 / 2).

(2) قُدُومَكَ.

(3) شِبْهُ ظُلَامَةٍ.

(4) شَهْوَتِكَ.

(5) جَمْعُ كُظْمٍ، وَهُوَ مَخْرَجُ النَّفْسِ. وَالْجُمْلَةُ كُنَايَةٌ عَنْ تَضْيِيقِهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَشِدَّتِهِ عَلَيْهِمْ.



أَكْظَمَ الْغُلَّةَ الْمُخَالَطَةَ الْقَلْبَ ب وَأَعَزَّى فِي الْقُرْآنِ عَزَائِي ⁽¹⁾
 لَمْ تَكُنْ بَغْتَةً وَفَائِكَ وَجَدًا إِنَّ مِيعَادَ مَنْ تَرَى لِلْفَنَاءِ
 وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: أَنَّ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ خَطَبَتْ بَعْدَ قَتْلِ
 أَبِيهَا:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَطِيرُ لَهُ، وَالْفَرْدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَمَّا بَعْدُ:
 فَكُلُّ الْعَجَبِ مِنْ قَوْمِ زَيْنِ الشَّيْطَانِ أَفْعَالِهِمْ، وَارْعَوَى إِلَى صَنِيعِهِمْ،
 وَرَبًّا ⁽²⁾ فِي الْفِتْنَةِ لَهُمْ، وَنَصَبَ حَبَائِلَهُ لِحَتْلِهِمْ، حَتَّى هَمَّ عَدُوُّ اللَّهِ ⁽³⁾ بِإِحْيَاءِ
 الْبِدْعَةِ، وَنَبَشِ الْفِتْنَةِ، وَتَجْدِيدِ الْجَوْرِ بَعْدَ دُرُوسِهِ، وَإِظْهَارِهِ بَعْدَ دُثُورِهِ ⁽⁴⁾، وَإِرَاقَةِ
 الدِّمَاءِ، وَإِبَاحَةِ الْحُمَى ⁽⁵⁾، وَانْتِهَاكَ مُحَارِمِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بَعْدَ تَحْصِينِهَا ⁽⁶⁾، فَأَضْرَى

(1) الغلة: حرارة الحزن. وكظمها: حبسها وردها، وفي القرآن عزائي - تريد قوله: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
 الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) [البقرة: 155، 156].

(2) ارعوى إلى كذا: نزع إليه. ورب: أي: زاد ولزم.

(3) لحتلهم، أي: لخداعهم، وعدو الله: تريد به الشيطان، كما يقتضيه سياق الكلام، ونسفه
 الآتي.

(4) انمحائه.

(5) الحمى: ما حُمي وحُفِظَ من الشيء. وإباحته: ضد حمايته.

(6) أي: المبالغة في ارتكاب ما حَرَّمَ اللَّهُ. ولعلها رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ تُشِيرُ فِي كُلِّ ذَلِكَ إِلَى مَا كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخلاف حول الخليفة، ومن ارتداد بعض قبائل العرب، ويدلُّ على
 ذلك إشارتها فيما سيأتي إلى سَبْقِ أَبِيهَا فِي مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ حَسْمًا لِلْفِتْنَةِ.



وَهَاجَ، وَتَوَعَّرَ وَثَارَ^(١) غَضَبًا، وَنُصْرَةً لِدِينِ اللَّهِ، فَأَخْسَأَ الشَّيْطَانُ، وَوَقَمَ كَيْدَهُ، وَكَفَفَ إِرَادَتَهُ، وَقَدَعَ مِحْنَتَهُ، وَأَصْعَرَ خَدَّهُ^(٢) لِسَبْقِهِ إِلَى مُشَايَعَةِ أَوْلَى النَّاسِ بِخِلَافَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣)، الْمَاضِي عَلَى سُنَّتِهِ، الْمُقْتَدِي بِدِينِهِ، الْمُقْتَصِّصُ^(٤) لِأَثَرِهِ.

فَلَمْ يَزَلْ سِرَاجُهُ زَاهِرًا^(٥)، وَضَوْؤُهُ لَامِعًا، وَنُورُهُ سَاطِعًا، لَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْغُرُ، وَمِنَ الْآرَاءِ الْمَصَاصِ^(٦)، وَمِنَ التَّقَدُّمِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ اللَّبَابِ، إِلَى أَنْ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، قَالِيًا لَمَا خَرَجَ مِنْهُ^(٧)، شَانِيًا لِمَا تَرَكَ مِنْ أَمْرِهِ، شَيْقًا لِمَنْ كَانَ فِيهِ^(٨)،

(١) أَضْرَى: أَسْرَعَ. وَتَوَعَّرَ: تَوَقَّدَ غَيْظًا. وَثَارَ: هَاجَ. تُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى حِمَاةِ أَبِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَزَمِهِ فِي الْأُمُورِ.

(٢) يُقَالُ: أَخْسَأَ: طَرَدَهُ وَأَبْعَدَهُ. وَقَمَهُ: رَدَّهُ أَفْبَحَ رَدًّا. وَكَفَفَ إِرَادَتَهُ: مَنَعَهَا. وَقَدَعَهُ: كَفَّهَ. وَأَصْعَرَ خَدَّهُ، أَي: أَذْهَبَ كِبَرَهُ.

(٣) الْمُشَايَعَةُ: الْمُنَاصَرَةُ وَالْمُتَابَعَةُ. وَأَوْلَى النَّاسِ بِخِلَافَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَي: أَحَقُّهُمْ بِهَا، تُرِيدُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) الْمُتَتَبِّعُ.

(٥) مُتَلَأَّلًا.

(٦) الْخَالِصُ.

(٧) أَي: كَارَهَا لِلدُّنْيَا. شَانِيًا: مُبْغِضًا.

(٨) لِمَنْ كَانَ فِيهِ، أَي: فِي الْأَمْرِ؛ أَمْرُ سِيَاسَةِ الدِّينِ وَأَهْلِيهِ، تُرِيدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَي: أَنَّهُ مُشْتَقٌّ إِلَى الْحَقِّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



صَبًّا إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ⁽¹⁾، وَإِلَّا ⁽²⁾ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ، عَاشِقًا لِمَا هُوَ فِيهِ ⁽³⁾.

فَلَمَّا صَارَ إِلَى الَّتِي وَصَفْتُ، وَعَايَنَ لِمَا ذَكَرْتُ أَوْمًا بِهَا إِلَى أَخِيهِ فِي الْمَعْدَلَةِ، وَنَظِيرِهِ فِي السَّيْرَةِ، وَشَقِيقِهِ فِي الدِّيَانَةِ ⁽⁴⁾، وَلَوْ كَانَ غَيْرَ اللَّهِ أَرَادَ لَأَمَالَهَا إِلَى ابْنِهِ، وَلَصَيَّرَهَا فِي عَقِبِهِ ⁽⁵⁾، وَلَمْ يُخْرِجَهَا مِنْ دُرِّيَّتِهِ، فَأَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَقَامَ فِيهَا بِقِسْطِهَا ⁽⁶⁾ لَمْ يُؤْذِهِ ثِقْلُهَا، وَلَمْ يُبْهَظْهُ ⁽⁷⁾ حِفْظُهَا، مُشَرِّدًا لِلْكَفْرِ عَنْ مَوْطِنِهِ، وَنَافِرًا لَهُ عَنْ وَكْرِهِ ⁽⁸⁾، وَمُثِيرًا لَهُ مِنْ مَجْتَمِعِهِ ⁽⁹⁾.

حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَلَى يَدَيْهِ أَقْطَارَ الْبِلَادِ ⁽¹⁰⁾، وَنَصَرَ اللَّهُ بِقَدَمِهِ ⁽¹¹⁾، وَمَلَائِكَتَهُ تَكْنُفُهُ ⁽¹²⁾، وَهُوَ بِاللَّهِ مُعْتَصِمٌ ⁽¹⁾، وَعَلَيْهِ مُتَوَكِّلٌ، حَتَّى تَأْكُودَتْ

(1) الصَّبُّ: المُحِبُّ.

(2) مُبَادَرًا.

(3) أَي: مَا صَارَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْمَوْتِ.

(4) تَرِيدُ أَبَاهَا عَمْرًا، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ عَهْدَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(5) أَي: فِي أَوْلَادِهِ.

(6) فَاعِلٌ (أَخَذَ وَقَامَ): أَبُوهَُا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْقِسْطُ: الْعَدْلُ. لَمْ يُوْذِهِ، مِنَ الْوَيْدِ: وَهُوَ الْإِبْطَاءُ.

(7) يَثْقُلُهُ.

(8) مُشَرِّدًا: طَارِدًا وَمُفْرِقًا. وَنَافِرًا: مُهَيِّجًا لَهُ عَنْ عَشَّتِهِ.

(9) مَكَانَهُ الَّذِي لَزِمَهُ.

(10) نَوَاحِيهَا.

(11) أَي: صَنِيْعُهُ وَمَرْتَبَتُهُ فِي الْفَضْلِ.

(12) تَحِيْطُ بِهِ.

عُرِيَ الْحَقُّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا، وَاضْمَحَلَّتْ عُرَى الْبَاطِلِ عَنْكُمْ حَلًّا.

نُورُهُ فِي الدَّجَنَاتِ ⁽²⁾ سَاطِعٌ، وَضَوْؤُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَامِعٌ، قَالِيًا لِلدُّنْيَا إِذْ عَرَفَهَا، لَافِظًا لَهَا إِذْ عَجَمَهَا ⁽³⁾، وَشَانِيًا لَهَا إِذْ سَبَرَهَا ⁽⁴⁾، تَخْطُبُهُ وَيَقْلَاهَا، وَثُرِيدُهُ وَيَأْبَاهَا لَا تَطْلُبُ سِوَاهُ بَعْلًا، وَلَا تَبْغِي سِوَاهُ نَحْلًا ⁽⁵⁾ أَخْبَرَهَا أَنَّ الَّتِي يَخْطُبُ أَرْغَدَ ⁽⁶⁾ مِنْهَا عَيْشًا، وَأَنْصَرَ مِنْهَا حُبورًا، وَأَدْرَمَ مِنْهَا سرورًا، وَأَبْقَى مِنْهَا خُلُودًا ⁽⁷⁾، وَأَطَوَّلَ مِنْهَا أَيَّامًا، وَأَغْدَقَ ⁽⁸⁾ مِنْهَا أَرْضًا، وَأَنْعَتَ ⁽⁹⁾ مِنْهَا جَمَالًا، وَأَتَمَّ مِنْهَا بِلَهْنِيَّةً، وَأَعَذَّبَ مِنْهَا رَفَهْنِيَّةً ⁽¹⁰⁾، فَبَشَعَتْ نَفْسَهُ بِذَلِكَ لِعَادَتِهَا ⁽¹¹⁾، وَاقْشَعَرَّتْ مِنْهَا لِمُخَالَفَتِهَا، فَعَرَكَهَا ⁽¹²⁾ بِالْعِزْمِ الشَّدِيدِ حَتَّى أَجَابَتْ، وَبِالرَّأْيِ

(1) ممتنع.

(2) الظُّلُمَاتِ.

(3) قَالِيًا: كَارَهَا أَشَدَّ الْكَرَاهَةِ. وَلَا فِظًا: رَامِيًا.

(4) عَجَمَهَا: جَرَّبَهَا. وَشَانِيًا: مَبْغُضًا. وَسَبَرَهَا، أَي: اخْتَبَرَهَا..

(5) أَي: زَوْجًا، أَوْ عَطَاءً.

(6) أَخْصَبَ وَأَطْيَبَ.

(7) بَقَاءً.

(8) أَخْصَبَ وَأَرَوَى.

(9) أَفْضَلَ مِنْهَا وَصْفًا.

(10) الْبِلَهْنِيَّةُ وَالرَّفَهْنِيَّةُ: رِفَاهَةُ الْعَيْشَةِ وَرَغْدُهَا.

(11) بَشَعَتْ لِعَادَتِهَا: عَبَسَتْ لِلدُّنْيَا.

(12) عَرَكَهَا: فَرَكَهَا لِيُخَضِّعَهَا.



الْجَلِيدِ ⁽¹⁾ حَتَّى انْقَادَتْ.

فَأَقَامَ فِيهَا دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ، وَقَوَاعِدَ السُّنَّةِ الْحَجَارِيَّةِ، وَرَوَاسِيَ الْآثَارِ
الْمَاضِيَةِ ⁽²⁾، وَأَعْلَامَ أَخْبَارِ الثُّبُوتِ الطَّاهِرَةِ، وَظَلَّ خَمِيصًا ⁽³⁾ مِنْ بَهْجَتِهَا قَالِيًا
لِأَثَائِهَا ⁽⁴⁾ لَا يَرْغَبُ فِي زَرْجِهَا ⁽⁵⁾، وَلَا تَطْمَحُ نَفْسُهُ إِلَى جَدَّتِهَا.

حَتَّى دَعِيَ فَأَجَابَ، وَنُودِيَ فَأَطَاعَ، عَلَى تِلْكَ مِنَ الْحَالِ، فَاحْتَدَى ⁽⁶⁾ فِي
النَّاسِ بِأَخِيهِ ⁽⁷⁾، فَأَخْرَجَهَا مِنْ نَسْلِهِ وَصَيَّرَهَا شُورَى بَيْنَ إِخْوَتِهِ ⁽⁸⁾، فَبَيَّأَى أَفْعَالِهِ
تَتَعَلَّقُونَ ⁽⁹⁾، وَبَيَّأَى مَذَاهِبِهِ تَتَمَسَّكُونَ؟ أَبْطَرَّائِقُهُ الْقَوِيْمَةُ فِي حَيَاتِهِ أَمْ بَعْدِلِهِ
فِيكُمْ عِنْدَ وَفَاتِهِ؟

أَلْهَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ طَاعَتَهُ» ⁽¹⁰⁾.

(1) الجليد: القوي الشديد.

(2) الدَّعَائِمُ: جمع دعامه، وهي عماد البيت ونحوه. والرواسي: الشوابة.

(3) جائعًا، أو خاليًا.

(4) متاعها.

(5) زينتها.

(6) اقتدى.

(7) تريد أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(8) أي: كبار الصحابة.

(9) تختصمون.

(10) وانظر «أعلام النساء»، لعمر رضا كحالة (1/ 275-277).





كَلَامُ الزَّرْقَاءِ بِنْتِ عَدِيٍّ⁽¹⁾

وَقَالَ عَيْسَى بْنُ مِهْرَانَ: حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ مِمَّنْ كَانَ يَسْمُرُ مَعَ مُعَاوِيَةَ، وَذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مُقَدِّمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فَضْلِ الْمَكِّيِّ الضَّبِّيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ الشَّافِعِيُّ صَاحِبَ الرَّيِّ، عَنِ أَبِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيِّ، عَنِ سَعْدِ بْنِ حُدَافَةَ الْجُمَحِيِّ، قَالَ:

«سَمَرَ مُعَاوِيَةُ لَيْلَةً، فَذَكَرَ الزَّرْقَاءُ بِنْتَ عَدِيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ قَيْسٍ؛ امْرَأَةً كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَكَانَتْ مِمَّنْ يُعِينُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ صِفِّينَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَ الزَّرْقَاءِ؟»

(1) الزَّرْقَاءُ بِنْتُ عَدِيٍّ مِنْ رَبَّاتِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْعَقْلِ وَالرَّأْيِ، نَاصَرَتْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ صِفِّينَ؛ قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ: «زَرْقَاءُ بِنْتُ عَدِيٍّ مِنْ مَرَّةِ الْهَمْدَانِيَةِ الْكُوفِيَّةِ؛ امْرَأَةٌ فَصِيحَةٌ اسْتَفَدَمَهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ لَهُ مَعَهَا مُحَاوَرَةٌ». «تَارِيخُ مَدِينَةِ دِمَشْقَ» (69/ 165).



فَقَالَ الْقَوْمُ: كُلُّنَا نَحْفَظُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ: «فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا؟».

قَالُوا: نُشِيرُ عَلَيْكَ بِقَتْلِهَا.

قَالَ: بِئْسَ مَا أَشْرْتُم عَلَيَّ بِهِ! أَيْحَسُنُ بِمِثْلِي أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي قَتَلْتُ امْرَأَةً بَعْدَمَا مَلَكَتُ، وَصَارَ الْأَمْرُ لِي.

ثُمَّ دَعَا كَاتِبَهُ فِي اللَّيْلِ، فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ فِي الْكُوفَةِ: «أَنْ أَوْفِدَ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ ابْنَةَ عَدِيِّ مَعَ ثِقَةٍ مِنْ مَحْرِمِهَا، وَعِدَّةٍ مِنْ فِرْسَانِ قَوْمِهَا، وَمَهْذَهَا وَطَاءً لِيَّ، وَاسْتَرَهَا بِسِتْرِ خَصِيفٍ⁽¹⁾».

فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، رَكِبَ إِلَيْهَا، فَأَقْرَأَهَا الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: «أَمَّا أَنَا، فَغَيْرُ زَائِغَةٍ عَنْ طَاعَةٍ، وَإِنْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ الْمَشِيتَةَ إِلَيَّ، لَمْ أُرْمِ⁽²⁾ مِنْ بَلَدِي هَذَا، وَإِنْ كَانَ حُكْمُ الْأَمْرِ، فَالطَّاعَةُ لَهُ أَوْلَى بِي.

فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ، وَجَعَلَ غِشَاءَهُ حَبْرًا مُبْطَنًا بِعَصَبِ الْيَمَنِ⁽³⁾، ثُمَّ أَحْسَنَ صُحْبَتَهَا.

(1) مَهْذَهَا: وَطَاءُهَا، أَي: هَيَّئْ لَهَا وَطَاءً، أَي: فِرَاشًا. وَالْخَصِيفُ: الْمُحْكَمُ. وَيُرْوَى: «خَصِيفٌ»،

أَي: غَلِيطٌ.

(2) أَي: لَمْ أَفَارِقْ.

(3) أَي: ثَوْبٌ مُحَظَّطٌ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ بُرودِ الْيَمَنِ فِيهِ حُمْرَةٌ وَبَيَاضٌ، جُمِعَ بَرْدٌ.



وفي حَدِيثِ الْمُقَدِّمِيِّ: «فَحَمَلَهَا فِي عِمَارِيَّةٍ جَعَلَ غِشَاءُهَا خِزًّا أَدَكْنَ⁽¹⁾ مُبْطَنًا بِقُوهِي⁽²⁾».

فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ، قَالَ لَهَا: «مَرْحَبًا، وَأَهْلًا خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ، كَيْفَ حَالُكِ يَا خَالَةَ؟ وَكَيْفَ رَأَيْتِ مَسِيرَكِ؟».

قَالَتْ: خَيْرَ مَسِيرٍ، كَأَنِّي كُنْتُ رَبِيبَةَ بَيْتٍ، أَوْ طِفْلًا مُمَهَّدًا.

قَالَ: بِذَلِكَ أَمَرْتُهُمْ، فَهَلْ تَعْلَمِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكِ؟

قَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَنَّى لِي بِعِلْمِ مَا لَمْ أَعْلَمْ؟! وَهَلْ يَعْلَمُ مَا فِي الْقُلُوبِ إِلَّا اللَّهُ؟!!

قَالَ: بَعَثْتُ إِلَيْكِ أَنْ أَسْأَلَكَ: أَلَسْتَ رَاكِبَةَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ يَوْمَ صِفِّينَ بَيْنَ الصَّفِّينِ⁽³⁾ تُوقِدِينَ الْحَرْبَ، وَتُخَضِّينَ عَلَى الْقِتَالِ، فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟

قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ قَدْ مَاتَ الرَّأْسُ، وَبُتِرَ الذَّنْبُ⁽⁴⁾، وَالذَّهْرُ ذُو غَيْرٍ⁽⁵⁾، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ، وَالْأَمْرُ يَخْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ.

(1) مِنَ الدُّكْنَةِ، وَهِيَ لَوْنٌ أَمِيلٌ إِلَى السَّوَادِ.

(2) الْقُوهِي: ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ بَيِضٌ.

(3) أَي: بَيْنَ الصَّفِّينِ الْمُتَقَاتِلِينَ.

(4) وَيُرْوَى: وَبَقِيَ الذَّنْبُ.

(5) أَي: أَحْدَاثٌ مُتَغَايِرَةٌ.



قَالَ لَهَا: صَدَقْتَ؛ فَهَلْ تَحْفَظِينَ كَلَامَكَ يَوْمَ صَفِّينَ؟

قَالَتْ: مَا أَحْفَظُهُ.

قَالَ: وَلَكِنِّي - وَاللَّهِ - أَحْفَظُهُ، لِلَّهِ أَبُوكَ! لَقَدْ سَمِعْتُكَ تَقُولِينَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ فِي فِتْنَةٍ غَشَتْكُمْ جَلَابِيبُ الظُّلَمِ، وَجَارَتْ بِكُمْ عَنْ قَصْدِ الْمَحَجَّةِ»⁽¹⁾، فَيَا لَهَا مِنْ فِتْنَةٍ عَمِيَاءَ صَمَاءَ، يُسْمَعُ لِقَائِلِهَا، وَلَا يُنْظَرُ لِسَائِقِهَا⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ الْمِصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ، وَإِنَّ الْكَوْكَبَ لَا يَقْدُ فِي الْقَمَرِ، وَإِنَّ الْبَعْلَ لَا يَسْبِقُ الْفَرَسَ، وَإِنَّ الزَّفَّ⁽³⁾ لَا يُوزَنُ الْحَجَرَ، وَلَا يَقْطَعُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ، أَلَا مَنْ اسْتَرَشَدَنَا أَرْشَدَنَا، وَمَنْ اسْتَخْبَرَنَا أَخْبَرَنَا.

إِنَّ الْحَقَّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّتَهُ فَأَصَابَهَا؛ فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ! فَكَانَ قَدْ ائْتَمَلَ شُعْبُ الشَّتَاتِ⁽⁴⁾، وَالتَّامَّتْ كَلِمَةُ الْعَدْلِ، وَغَلَبَ الْحَقُّ بَاطِلَهُ، فَلَا يَعْجَلَنَّ أَحَدٌ فَيَقُولَ: كَيْفَ؟! وَأَيُّ؟! لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا.

أَلَا إِنَّ خِصَابَ النِّسَاءِ الْحِنَاءُ، وَخِصَابَ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ، وَالصَّبْرُ خَيْرٌ فِي

(1) الْمَحَجَّةُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ.

(2) أَي: لَا يُهْمَلُ.

(3) الزَّف: صَغِيرُ الرَّيشِ، أَوْ صَغِيرُ الْحَصَى. وَالْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ: أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَعَلِيٍّ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْمِصْبَاحِ وَالشَّمْسِ... إلخ، تَعْنِي أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلُ.

(4) ائْتَمَلَ: التَّامَّ. وَالشُّعْبُ: الصَّدْعُ، أَوْ الشَّقُّ. وَالشَّتَاتُ: التَّفَرُّقُ.



الأُمُورِ عَوَاقِبًا.

إِيَّهَا إِلَى الْحَرْبِ قُدِّمًا⁽¹⁾ غَيْرَ نَاكِصِينَ، فَهَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ.

ثُمَّ قَالَ مُعَاوِيَةُ: وَاللَّهِ - يَا زُرْقَاءَ - لَقَدْ شَرَكْتَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكُهُ.

فَقَالَتْ: أَحْسَنَ اللَّهُ بَشَارَتَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ، مِثْلَكَ مَنْ بَشَّرَ بِخَيْرٍ، وَسَرَّ جَلِيسَهُ.

قَالَ لَهَا: وَقَدْ سَرَّكَ ذَلِكَ؟.

قَالَتْ: «نَعَمْ، وَاللَّهِ، لَقَدْ سَرَّنِي قَوْلُكَ، فَأَنَّى بِتَصْدِيقِ الْفَعْلِ؟

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: وَاللَّهِ، لَوْ قَاوُوكُمْ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُبِّكُمْ لَهُ فِي حَيَاتِهِ! اذْكُرِي حَاجَتَكَ؟

قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي قَدْ آلَيْتُ عَلَى⁽²⁾ نَفْسِي، أَلَّا أَسْأَلَ أَمِيرًا أَعْنَتْ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَمِثْلُكَ أَعْطَى عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، وَجَادَ عَنْ غَيْرِ طَلَبٍ.

قَالَ: صَدَقْتَ!

فَأَقْطَعَهَا ضَيْعَةً أَغْلَثَهَا⁽³⁾ فِي أَوَّلِ سَنَةِ عَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَأَحْسَنَ

(1) إِيَّهَا: كلمة إغراء. وقُدِّمًا، أي: مُتَقَدِّمِينَ.

(2) أي: حَلَفْتُ.

(3) أي: أَقَادَتَهَا، والغلة: ما يخرج من الأرض.



صَفَدَهَا⁽¹⁾، وَرَدَّهَا - وَالَّذِينَ مَعَهَا - مُكْرِمِينَ⁽²⁾.



(1) عطاءها.

(2) أخرجه العباس بن بكار الضبي في «أخبار الوافدات من النساء على معاوية» (ص 63-

66)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (69/165-167)، وهو حديث موقوف.



كَلَامُ عَجُوزٍ مِنْ وَلَدِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ⁽¹⁾

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَقَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْبَصْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُمِّيَّةُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ قَدْ سَمِعَ شَيْخًا لَهُمْ يَقُولُ:

«قَدِمَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدِينَةَ، فَأَتَتْهُ عَجُوزٌ مِنْ وَلَدِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَشَكَتَ إِلَيْهِ صَنْكَ الْمَعِيشَةِ، قَالَ: «مَا يَحْضُرُنِي الْكَثِيرُ، وَلَا أَرْضَى لَكَ بِالْقَلِيلِ، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ سَفَرٍ، فَاقْبَلِي مَا حَصَرَ، وَتَفَضَّلِي بِالْعُذْرِ.

ثُمَّ دَعَا مَوْلَى لَهُ⁽²⁾، فَقَالَ: ادْفَعِ إِلَيْهَا مَا بَقِيَ مِنْ نَفَقَتِنَا، وَخُذِي هَذَا الْعَبْدَ وَالْبَعِيرَ.

فَقَالَتْ: يَا ابْنِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَجَزَلَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ أَجْرَكَ، وَأَعْلَى فِي الدُّنْيَا كَعْبَكَ، وَرَفَعَ فِيهِمَا ذِكْرَكَ، وَغَفَرَ لَكَ يَوْمَ الْحِسَابِ ذَنْبَكَ، فَأَنْتَ - وَاللَّهُ - كَمَا قَالَتْ أُمُّ جَمِيلَ بِنْتُ حَرْبٍ بِنِ أُمِّيَّةَ:

(1) الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، عَمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(2) أي: عبداً مملوكاً.



فِي الْبَدْوِ مِنْهَا وَالْحَضَرِ
تِ فِي الرَّحَالِ⁽¹⁾ وَفِي السَّفَرِ
وَعَلَا عَلَى كُلِّ بَشَرٍ
يُعْطَى الْجَزِيلَ بِلَا كَدَرٍ⁽⁴⁾

زَيْنُ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا
وَرِئِيسُهَا فِي النَّائِبِ
وَرِثَ الْمَكَارِمِ كُلِّهَا
ضَخَمَ الدَّسِيعَةَ⁽²⁾ مَا جَدَ⁽³⁾

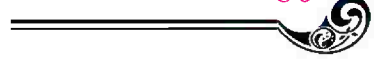


(1) الرَّحَال: جمع رَحْل، بمعنى المَسْكَن.

(2) الدَّسِيعَةُ: الجفنة الواسعة، والمعنى: أَنَّهُ كَرِيم.

(3) الماخذ: الشَّرِيفُ الْفِعَال، الكريم الآباء.

(4) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (7/ 207، 208).



كَلَامُ النِّسَاءِ مُتَفَرِّقَاتٍ

كَلَامُ الْجُمَانَةِ بِنْتِ الْمُهَاجِرِ⁽¹⁾:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ،
بن محمد، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَمِّهِ:

أَنَّ الْجُمَانَةَ بِنْتَ الْمُهَاجِرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ نَظَرَتْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزُّبَيْرِ، وَهُوَ يَرْقَى الْمِنْبَرَ يَخْطُبُ بِالنَّاسِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَقَالَتْ حِينَ رَأَتْهُ رَقَى
الْمِنْبَرَ:

أَيَا نَقَّارٍ، انْقُرْ يَا نَقَّارِ⁽²⁾، أَمَا - وَاللَّهِ - لَوْ كَانَ فَوْقَهُ نَجِيبٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، أَوْ

(1) هي الجمانة بنت المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، كان غلاماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد الجمل مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفقئت عينه بها، وقتل معه بصفين. «أسد الغابة» (5/ 265)، و«تاريخ دمشق» (61/ 262، 263).

وأما الجمانة ابنته فلا يُعلم عنها شيئاً سوى هذا الخبر. انظر: «نثر الدر في المحاضرات» لأبي سعد الآبي (4/ 58، 59).

(2) النَّقَر: اضطراب اللسان. وبالكسر: مُرَاجعة في الكلام. والمراد: أَنَّهَا تُعَرِّضُ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِالْخَطِيبِ الدَّرْبِ اللِّسَانِ.



صَقَرٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، لَقَالَ الْمَنْبِرُ: طَيْقُ طَيْقُ ⁽¹⁾.

قَالَ: فَأَنْمِي ⁽²⁾ كَلَامَهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا، فَأُتِيَ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ يَا لَكَاع ⁽³⁾».

قَالَتْ: الْحَقُّ أُبْلِغْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

قَالَ: فَمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ؟

قَالَتْ: لَا تَعِدُّ الْحَسَنَاءُ دَامًا، وَالسَّاخِطُ لَيْسَ بِرَاضٍ، وَمَعَ ذَلِكَ، فَمَا عَدَوْتُ ⁽⁴⁾ فِيمَا قُلْتُ لَكَ أَنْ نَسْبُتَكَ إِلَى التَّوَاضُعِ وَالذِّينِ، وَعَدَوْتُكَ إِلَى الْخِيَلَاءِ وَالظَّمْعِ، وَلَئِنْ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ لَتَحْمَدَنَّ عَاقِبَةَ شَأْنِكَ، وَلَيْسَ مَنْ قَالَ فَكَذَبَ كَمَنْ حَدَّثَ فَصَدَقَ، وَأَنْتَ بِالتَّجَاوُزِ ⁽⁵⁾ جَدِيرٌ، وَنَحْنُ لِلْعَفْوِ مِنْكَ أَهْلٌ، فَاسْتُرْ عَلَى الْحُرْمَةِ تَسْتَتِمِ النَّعْمَةَ، فَوَاللَّهِ، مَا يَرْفَعُكَ الْقَوْلُ وَلَا يَضَعُكَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا لَتَعْلَمَ أَنَّكَ عَابِدُهَا، وَشُجَاعُهَا، وَلِسَانُهَا.

(1) طَيْق: حكاية صوت الحجر. والمراد: أنه ضعيف لا يملأ فراغ المنبر، ولو كان غيره خطيباً من

بني أمية، أو بني مخزوم لاهتز المنبر من كلامه.

(2) من نمي الحديث: أي: ارتفع.

(3) أي: يا حمقاء.

(4) جاوزت.

(5) أي: الاحتمال وعدم المؤاخذه.



حَاطَ ^(١) اللَّهُ دُنْيَاكَ، وَعَصَمَ أُخْرَاكَ، وَالْهَمَكَ شُكْرَ مَا أَوْلَاكَ.

[كلام زينب بنت علي:]

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيُّ، قَالَ: «كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ تَقُولُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْخَلْقُ شُفَعَاءَهُ إِلَى اللَّهِ فَلْيَحْمَدْهُ؛ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِمْ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ». فَخَفِ اللَّهُ لِقُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، وَاسْتَجِبْ مِنْهُ لِقُرْبِهِ مِنْكَ».

[كلام أمّ أعرابيٍّ له:]

ذَكَرَ الرَّيَّاشِيُّ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبٍ، قَالَ: «خَرَجْتُ فِي طَلَبِ الْكَلَاءِ ^(٢)، فَانْتَهَيْتُ إِلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ كَلْبٍ، وَإِذَا أَعْرَابِيٌّ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ، وَمَعَهُ كِتَابٌ مَنُشُورٌ يَقْرُؤُهُ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ يَتَوَعَّدُهُمْ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ، وَهِيَ فِي خِبَائِهَا، وَكَانَتْ مُقْعَدَةً كِبَرًا:

«وَيْلَكَ! دَعْنِي مِنْ أَسَاطِيرِكَ ^(٣)، لَا تَحْمِلْ عَقُوبَتَكَ عَلَيَّ مَنْ لَمْ يَحْمِلْ عَلَيْكَ، وَلَا تَتَطَاوَلْ عَلَيَّ مَنْ لَمْ يَتَطَاوَلْ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا تُقْرِبُكَ إِلَيْهِ حَوَادِثُ الدُّهُورِ، وَلَعَلَّ مَنْ صَيَّرَكَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ أَنْ يُصَيِّرَ غَيْرَكَ إِلَى مِثْلِهِ غَدًا؛ فَيَنْتَقِمُ مِنْكَ أَكْثَرَ مِمَّا انْتَقَمْتَ مِنْهُ، فَاكْفُفْ عَمَّا أَسْمَعُ مِنْكَ؛ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ

(١) أي: حَفِظَ وَتَعَهَّدَ.

(٢) العشب.

(٣) أحاديثك التي لا نظام لها.



لَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَلَيْكَ أَنْ تَرَى كَعَ يَوْمًا وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

قَالَ أَبَانُ: فَقَضَيْتُ الْعَجَبَ مِنْ كَلَامِهَا وَبَلَاغَتِهَا.

[كلام أعرابية بليغة:]

وَقَالَ الرِّيَاشِيُّ: عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلَبَ، قَالَ: «جَلَسْتُ إِلَى أَعْرَابِيَّةٍ كَانَتْ تُعَرِّفُ بِالْبَلَاغَةِ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهَا يَسْحَبُ حُلَّةَ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: «يَا صَاحِبَ الْحُلَّةِ⁽¹⁾، إِنَّ الْكَرَمَ وَاللُّؤْمَ لَيْسَا فِي بُرْدَتِكَ هَذِهِ، وَلَكِنَّهَا تَحْتَهَا، فَلْيَحْسُنْ فِعْلُكَ يَحْسُنْ لِبَاسُكَ، وَلَوْ لَبِسْتَ طُمْرًا⁽²⁾ مَا شَأْنُكَ».

[كلام وَلَادَةِ الْعَبْدِيَّة:]

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ أَسْعَدِ بْنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ مَهْزَمِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ مَهْدِيٍّ قَالَ: «قُلْتُ لَوَلَادَةِ الْعَبْدِيَّةِ، وَكَانَتْ مِنْ أَعْقَلِ النِّسَاءِ: إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ، فَأَوْصِينِي؟

قَالَتْ: أَوْجِزْ فَأَبْلُغْ، أَمْ أُطِيلُ فَأَحْكُمْ؟.

فَقُلْتُ: بِمَا شِئْتُ.

فَقَالَ ابْنُ أَخِي لَهَا: الْحُلَّةُ لِبَاسٌ؛ فَاخْلَعِي عَلَيْهِ.

(1) الحُلَّة: رداء، ولا تكون الحلة إلا من ثوبين، أو من ثوب له بطانة.

(2) الطَّمْرُ: الثوب البالي.



فَقَالَتْ: جُدِّ تَسُدُّ، وَاصْبِرْ تَقُزُّ.

قلت: أَيْضًا، قَالَتْ: لَا يَتَعَدَّ غَضَبُكَ حِلْمَكَ، وَلَا هَوَاكَ عِلْمَكَ، وَقِ⁽¹⁾ دِينَكَ بِدُنْيَاكَ، وَوَقِّرْ عِرْضَكَ بِعَرَضِكَ⁽²⁾، وَتَفَضَّلْ تُخْدَمُ، وَاحْلَمْ تُقَدَّمُ.

قُلْتُ: فَمَنْ أَسْتَعِينُ؟

قَالَتْ: اللَّهُ.

قُلْتُ: مِنَ النَّاسِ؟

قَالَتْ: الْجَلِيدُ⁽³⁾ النَّشِيطُ، وَالتَّائَصِحُّ الْأَمِينُ.

قلت: فَمَنْ أَسْتَشِيرُ؟

قَالَتْ: الْمُجَرَّبُ الْكَيِّسُ⁽⁴⁾، أَوِ الْأَدِيبُ، وَلَوْ الصَّغِيرُ.

قُلْتُ: فَمَنْ أَسْتَصْحِبُ؟

قَالَتْ: الصَّدِيقُ الْمُلِمُّ، أَوِ الْمُدَاجِي الْمُتَكَرِّمُ⁽⁵⁾.

(1) (ق)، أي: احفظ؛ فعل أمر من (وَقَّى).

(2) العَرَضُ: المال والمتاع.

(3) القوي.

(4) العاقل.

(5) الْمُلِمُّ: الذي يُوالي زيارة صديقه. والمُدَاجِي: المداري.



ثُمَّ قَالَتْ: يَا ابْنَاهُ، إِنَّكَ تَفِدُ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ⁽¹⁾؛ فَانْظُرْ: كَيْفَ يَكُونُ مَقَامُكَ بَيْنَ يَدَيْهِ».

[كلام بعض الأعرابيات:]

✽ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ، وَأَبُوهُ جُعْفُ الْيَمَامِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ الْأَعْرَابِيِّ قَالَا:

«وَقَفَّتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، فَقَالَتْ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! أَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضٍ شَاسِعَةٍ⁽²⁾، تَرْفَعُنِي رَافِعَةً، وَتَخْفِضُنِي خَافِضَةً بِمِلْحَاتٍ مِنَ الْبِلَادِ⁽³⁾، وَمُلَمَّاتٍ مِنَ الدُّهُورِ⁽⁴⁾ بَرَيْنَ عَظْمِي، وَأَذْهَبَنَ لَحْمِي، وَتَرَكْنِي وَالْهَاءَ⁽⁵⁾، وَأَنْزَلْنِي إِلَى الْحَضِيضِ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ الْعَرِيضُ؛ لَا عَشِيرَةَ تَحْمِينِي، وَلَا حَمِيمَ يَكْنِفُنِي⁽⁶⁾».

(1) أي: تَقْدُمُ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(2) بعيدة.

(3) يقال: مكان لاج، أي: ضيق.

(4) المللمات: الشدائد.

(5) والهاء، من الوله: وهو الحزن والدُّهول.

(6) أي: يحميني.



فَسَأَلْتُ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ: مَنْ الْمَرْجُو سِيبُهُ⁽¹⁾، الْمَأْمُونُ غَيْبُهُ، الْمَكْفِيُّ سَائِلُهُ، الْكَرِيمَةُ شَمَائِلُهُ، الْمَأْمُولُ نَائِلُهُ⁽²⁾؟

فَأُرْشِدْتُ إِلَيْكَ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ، مَاتَ الْوَافِدُ⁽³⁾، وَغَابَ الرَّافِدُ⁽⁴⁾، وَمِثْلُكَ مَنْ سَدَّ الْخَلَّةَ⁽⁵⁾، وَفَكَ الْغَلَّةَ⁽⁶⁾، فَاصْنَعْ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُقِيمَ مِنْ أَوْدِي⁽⁷⁾، أَوْ تُحَسِّنَ صَفْدِي⁽⁸⁾، أَوْ تُرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي.

قَالَ: بَلْ أَجْمَعُهُنَّ لَكَ، وَحُبًّا⁽⁹⁾ «⁽¹⁰⁾».

✽ وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَرَجِ الرَّيَّاشِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ الْمِهْلَبِيُّ، قَالَ: وَقَفْتُ أَعْرَابِيَّةً، فَقَالَتْ: «بَعْدَتْ شُقَّتِي، وَظَهَرَتْ مُحَارِمِي، وَبَلَغَ نَسِيسِي⁽¹¹⁾»،

(1) سيبه: عطاؤه.

(2) نائله: جوائزه.

(3) الوافد: الذي كان يفد عليها، أي: يقبل عليها بجوائجها.

(4) الرافد: المعين والمعطي.

(5) الخلة: الحاجة والفقر.

(6) الغلة: حرارة العطش.

(7) الأود: المِعْوَج، وبقية: يصلحه.

(8) الصفد: العطاء.

(9) منصوب بفعل محذوف، أي: أفعل ذلك حُبًّا فِي بَرِّكَ.

(10) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (38/137).

(11) الشقة: النَّاحِيَّة. والمراد: بلدها. والمحارم: ما يحرم انتهاكُه وظهوره منها. والنسيس: بقية



وَاللَّهُ سَائِلُكُمْ عَنْ مَقَامِي».

❁ وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنِ الْعُتَيْبِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَعْرَابِيَّةً، فَقَالَتْ: «سَائِلْتُكُمْ تَسْأَلُكُمْ الْقَلِيلَ الَّذِي يُوجِبُ لَكُمْ الْكَثِيرَ، وَرَحِمَ اللَّهُ وَاحِدًا أَعَانَ مُحِقًّا».

❁ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ حَدِيدٍ، عَنِ الْعُتَيْبِيِّ، قَالَ: «وَقَفْتُ عَلَيْنَا أَعْرَابِيَّةً، فَقَالَتْ: يَا قَوْمَ، تَغَيَّرَ بَنَا الدَّهْرُ؛ إِذْ قَلَّ مِنَّا الشُّكْرُ، وَلَزِمَنَا الْفَقْرُ، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ فَهِمَ بَعْقِلٍ، وَأَعْطَى مِنْ فَضْلٍ، وَآثَرَ مِنْ كِفَافٍ⁽¹⁾، وَأَعَانَ عَلَى عَفَافٍ⁽²⁾».



الروح، وبلغ نسيسه: كاد يموت.

(1) الكفاف من الرزق: ما كفى صاحبه، وأغناه عن الناس. وقولها: «وآثر من كفاف» مقتبس

من قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) [الحشر: 9]**.

(2) وانظر هذه الأقوال أيضًا في «نثر الدر» للآبي (6/ 54، 55).



قِصَّةُ أُمِّ مَعْبُدٍ، وَوَصْفُهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِلَاغَتُهَا فِي صِفَتِهِ (1)

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُثْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي بَشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبَانَ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ وَهَبٍ الْمَذْحِجِيُّ الْكُوفِيُّ، عَنِ الْحَرَبِيِّ التَّيَّاحِ التَّخَعِيِّ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ مَعْبُدِ الْخَزَاعِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ لَيْلَةَ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ.

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى، قَالَ: وَحَدَّثَنَا مَكْرُمُ بْنُ مُحَرِّزِ بْنِ الْمَهْدِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خُوَيْلِدِ الْخَزَاعِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَرِّزُ بْنُ الْمَهْدِيِّ، عَنِ حَزَامِ بْنِ هِشَامٍ، وَحَبِيشِ بْنِ أَبِيهِ هِشَامٍ، عَنِ جَدِّهِ حَبِيشِ بْنِ خَالِدِ صَاحِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - حِينَ أُخْرِجَ مِنْهَا مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَمَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَدَلِيلُهُمَا اللَّيْثِيُّ عَبْدُ

(1) أُمُّ مَعْبُدٍ: صحابية جلييلة، واسمها: عاتكة بنت خالد بن خليلد الخزاعية، وكُنيت بابنها مَعْبُدٍ، وهي مشهورة بكُنيتها، نَزَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَوَصَفَتْهُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ الْبَلِیْغَةِ. انظر «الإصابة» (1/ 61)، (7/ 177)، و«الاستيعاب» (ص 141).



اللَّهُ بْنُ أَرَيْقُطَ، فَمَرُّوا عَلَى حَيْمَةَ أُمِّ مَعْبِدٍ الْخُزَاعِيَّةِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً بَرْزَةً جَلْدَةً⁽¹⁾ تَحْتِي بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ⁽²⁾، ثُمَّ تَسْقِي وَتُطْعِمُ؛ فَسَأَلُوهَا لَحْمًا وَثَمَرًا، لِيَشْتَرَوْهُ مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِتِينَ⁽³⁾.

فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى شَاةٍ فِي كَسِرِ الْحَيْمَةِ⁽⁴⁾، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ يَا أُمَّ مَعْبِدٍ؟». قَالَتْ: «شَاةٌ خَلَفَهَا الْجَهْدُ⁽⁵⁾ عَنِ الْغَنَمِ»، قَالَ: «هَلْ يَهَا مِنْ لَبَنٍ؟»، قَالَتْ: «هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ». قَالَ: «أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أَحْلِبَهَا؟»، قَالَتْ: «بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتِ! نَعَمْ، إِنْ رَأَيْتِ يَهَا مِنْ حَلَبٍ؛ فَاحْلِبِيهَا».

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالشَّاةِ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، وَسَمَّى اللَّهَ، وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِيهَا، فَتَفَاجَّتْ عَلَيْهِ⁽⁶⁾، وَدَرَّتْ⁽⁷⁾، وَاجْتَرَّتْ⁽⁸⁾، وَدَعَا بِإِنَاءٍ يَرْبُصُ

(1) امرأة برزة، أي: كهلة جليلة تبرز للناس في عفاف. وجلدة، أي: قوية.

(2) احتبي بالغوب: اشتمل به. وفناء الكعبة: ما اتَّسَعَ أمامها.

(3) أي: محتاجين مُجْدِبِينَ.

(4) أي: في ناحية منها.

(5) أي: أجهدتها الهزال.

(6) أي: وسَّعت ما بين رجليها، وبَاعَدَتْ إِحْدَاهُمَا عَنِ الْآخَرَى، وَهَذَا هُوَ سُلُوكُ الشَّاةِ عِنْدَ الْحَلَبِ.

(7) صَبَّتِ اللَّبَنَ.

(8) من الاجترار، وهو ما يفيض به البعير ونحوه من معدته؛ فيأكله ثانيًا، وهذا دليل الصَّحَّةِ.



الرَّهْطُ^(١)، فَحَلَبَ فِيهِ ثَجًّا حَتَّى غَلَبَهُ الثُّمَالُ^(٢)، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوَيْتَ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا، ثُمَّ شَرَبَ آخِرَهُمْ، وَقَالَ: «سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ»^(٣)، فَشَرَبُوا جَمِيعًا عِلًّا بَعْدَ نَهْلٍ^(٤).

ثُمَّ أَرَاؤُوهَا^(٥)، ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ ثَانِيًا عَوْدًا عَلَى بَدءٍ حَتَّى مَلَأَ الْإِنَاءَ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا، وَبَايَعَهَا^(٦)، وَارْتَحَلُوا عَنْهَا.

فَقَلَّ مَا لَبِثَتْ حَتَّى جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبِدٍ يَسُوقُ أَعْنَزًا حِيَالًا^(٧) عِجَافًا^(٨) هَزَالًا، مُحْتَمِنٌ قَلِيلٌ، وَلَا نَقِيَّ بَهَنٍ^(٩)، فَلَمَّا رَأَى أَبُو مَعْبِدٍ اللَّبَنَ، وَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا، يَا أُمَّ مَعْبِدٍ، وَالشَّاةُ عَارِزَةٌ حِيَالٍ^(١٠)، وَلَا حَلُوبَةٌ فِي الْبَيْتِ؟».

فَقَالَتْ: «لَا، وَاللَّهِ، إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ، كَانَ مِنْ حَدِيثِهِ كَيْتٌ،

(١) أي: يكفيهم. والرّبع: ما يكفي الإنسان من اللبن. والرهط: من سبعة إلى عشرة.

(٢) ثَجًّا، مِنْ ثَجِ الْمَاءِ: سَالٍ. وَالْعَمَالُ: الرَّغْوَةُ.

(٣) أخرج هذا اللفظ مسلم (681) من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ أُخْرَى.

(٤) النَّهْلُ: أَوَّلُ الشُّرْبِ. وَالْعِلُّ: الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْبِ تَبَاعًا.

(٥) طَابَتْ نفوسهم.

(٦) أي: أخذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا عَهْدَ دُخُولِهَا فِي الْإِسْلَامِ، وَطَاعَتِهَا لَهُ.

(٧) مِنْ حَالٍ يَحِيلُ تَغْيِيرٌ، أَوْ مِنْ صَارَتْ إِبْلَهُ حَائِلًا فَلَمْ تَحْمَلْ.

(٨) أي: نَحَافًا.

(٩) النقي: المخ. والمعنى: هزيلات مريضات قليلات اللحم.

(١٠) أي: لم تحمل.

وَكَيْتَ».

قَالَ: «صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ».

فَقَالَتْ: «رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ، أَبْلَجَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الْخُلُقِ، لَمْ تَعِبْهُ ثَجَلَةٌ، وَلَمْ تُزْرِهِ صَقْلَةٌ، وَسِيمًا قَسِيمًا⁽¹⁾، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطْفٌ⁽²⁾، وَفِي صَوْتِهِ صَحْلٌ، وَفِي عُنْقِهِ سَطْعٌ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ⁽³⁾، أَحَوْرٌ، أَكْحَلٌ، أَزَجٌ، أَقْرَنٌ⁽⁴⁾، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَا وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ؛ فَهُوَ أَجْمَلُ النَّاسِ، وَأَبْهَاءُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حَلَوُ الْمَنْطِقِ؛ فَصْلٌ، لَا نَزْرٌ، وَلَا هَذَرٌ⁽⁵⁾، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نَظْمٌ يَتَحَدَّرْنَ، رَبْعَةٌ، لَا تَشْنُوهُ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ⁽⁶⁾، غُضْنٌ بَيْنَ غُضْنَيْنِ؛ فَهُوَ أَنْصَرُ الثَّلَاثَةِ مَنَظَرًا،

(1) الوضاءة: رونق الحسن. أبلج الوجه، أي: مشرقه، أو طلقه. والثلجة: عظم البطن واسترخاؤه. والصقلة: خفة اللحم. والمراد: أنه متوسط الجسم. والوسامة كالقسامة، بمعنى الحسن، أو أثر الحسن.

(2) الدعج: سواد العين مع سعتها. والأشفار: أصول منبت الشعر في الجفن. والوطف: كثرة شعر العينين.

(3) الصحل: خشونة الصوت. وسطع العنق: طوله. وكثاثة اللحية: كثرة شعرها.

(4) الأحور، من الحور وهو شدة سواد العين في شدة بياضها. والأزج من الزجج وهو دقة الحواجب في طول. والأقرن: المتصل رأسي حاجبيه.

(5) الفصل: الحق من القول. لا نذر ولا هذر، أي: لا قليل الكلام ولا كثيره.

(6) الرُّبْعَةُ: ما كان متوسطًا في جسمه، وقامته بين الطويل والقصير. لا تَشْنُوهُ، أي: لا تستقبحه. ولا تقتحمه، أي: لا تحتقره.



وَأَحْسَنُهُمْ قَدًّا، لَهُ رُفَقَاءُ يَحْفُونُ بِهِ ⁽¹⁾، إِنْ قَالَ أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ؛ مُحْفُودٌ مُحْشُودٌ، لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ ⁽²⁾».

قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: «هُوَ -وَاللَّهُ- صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذَكَرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ بِمَكَّةَ مَا ذَكَرَ، وَلَوْ كُنْتُ وَافَقْتُهُ ⁽³⁾ لَا لَتَمَسْتُ صُحْبَتَهُ، وَلَا فَعَلَنْ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا».

قَالَ: وَأَصْبَحَ صَوْتُ بِمَكَّةَ عَالِيًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ، وَلَا يَدْرُونَ مَنْ يَقُولُهُ، وَهُوَ يَقُولُ:

جَزَى اللَّهُ رَبَّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ	رَفِيقَيْنِ قَالَا خِيَمَةَ أُمِّ مَعْبَدٍ ⁽⁴⁾
هُمَا نَزَلَا بِالْبَرِّ وَارْتَحَلَا بِهِ	فَفَازَ الَّذِي أَمْسَى رَفِيقُ مُحَمَّدٍ
فَيَا لَقْصِيٍّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ	بِهِ مِنْ فَعَالٍ لَا يُجَارَى وَسُودِدَ ⁽⁵⁾

(1) أي: يُحْدِقُونَ بِهِ، وَيَلْتَفِتُونَ حَوْلَهُ.

(2) مُحْفُودٌ، أي: مُخْدُومٌ. وَالْمَحْشُودُ: الَّذِي يَجْتَمِعُ النَّاسُ حَوْلَهُ لِحُدْمَتِهِ. وَالْعَابِسُ: الْكَالِحُ الْوَجْهَ الْمُقْطَبُ. وَالْمُفَنَّدُ: الْمَنْسُوبُ إِلَى الْجَهْلِ وَقِلَّةِ الْعَقْلِ، مِنَ الْفَنَدِ، أَيِ: الْحَرْفِ. قَابِلَتُهُ.

(3) قَالَا مِنَ الْقِيلُولَةِ، وَهُوَ النُّزُولُ فِي الْقَائِلَةِ (الظَّهيرة) عِنْدَ شِدَّةِ الْحَرِّ؛ لِلِاسْتِرَاحَةِ وَالنُّوْمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(5) قِصِيٌّ بَنُ كَلَابٍ: أَبُو قَبِيلَةٍ مِنَ الْعَرَبِ. وَزَوَى: أَبْعَدَ. وَفَعَالٌ: الْحُسْنُ وَالْكَرَمُ. وَالسُّودِدُ: السَّيَادَةُ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ فَاتَهُمْ هَذَا الْخَيْرُ مِنْ وَجُودِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمْ، وَنَزُولِهِ عَلَيْهِمْ.



لِيَهْنَ بَنِي كَعْبٍ مَقَامَ فَتَاهُمْ
سُئِلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِيهَا وَإِنَائِيهَا
دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ
فَغَادَرَهَا رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ
قَالَ: فَأَصْبَحَ النَّاسُ قَدْ فَقَدُوا نَبِيَّهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا عَلَى خِيَمَةِ أُمِّ
مَعْبِدٍ، حَتَّى لَحِقُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَجَابَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

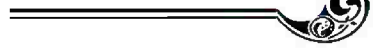
لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ
تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ
هَدَاهُمْ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ رَبُّهُمْ
وَهَلْ يَسْتَوِي ضَالٌّ قَوْمٍ تَسْفَهُوا
وَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبَ
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ
فَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةً غَائِبٍ
وَقُدْسٌ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي (١)
وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بُنُورٌ مُجَدِّدٍ
وَأَرَشَدَهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْحَقَّ يَرْشِدُ
بِهَادٍ يَقْتَدِي بِهِ كُلُّ مُهْتَدِي (٢)
رِكَابٌ هُدِيَ حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدٍ
وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
فَتَصْدِيقُهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ

(١) بنو كعب: هم عشيرة أم معبد. والمرصد: الطريق. والمعنى: هنيئاً لهم هذا الشرف الذي حاذوه بضيافة ابنتهم أم معبد للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) الحائل: التي لم تحمل منذ سنين. وضرة الشاة: ضرعها. والمزبد من الزبد، وهو رغوة اللبن.

(٣) يسري من السرى، وهو سير عامة الليل. ويغتدي: يُبَكِّرُ. والغدوة البكرة، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس.

(٤) تَسْفَهُوا، أي: حملوا أنفسهم على السفه وهو الجهل، ونقيض الحلم.



لِيَهْنِ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةَ جَدِّهِ ⁽¹⁾ بِصُحْبَتِهِ مِنْ يُسْعَدُ اللَّهُ يُسْعَدُ
وَيَهْنِ بَنِي سَعْدٍ مَقَامَ فَتَاتِهِمْ وَمَقْعَدَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ ⁽²⁾

سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَبِيبٍ مَوْلَى ابْنِ هِشَامٍ يَذْكُرُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ
زِيَادٍ الْأَعْرَابِيِّ، قَالَ: قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: كَيْفَ لَمْ
يَصِفْ أَحَدُ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كَمَا وَصَفْتُهُ أُمُّ مَعْبِدٍ؟! فَقَالَ: «لَأَنَّ النِّسَاءَ
يَصِفْنَ الرِّجَالَ بِأَهْوَائِهِنَّ» ⁽³⁾؛ فَيَجِدُنَ فِي صِفَاتِهِنَّ.



(1) الجَدُّ: النَّصِيبُ.

(2) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (10/3) بِرَقْمِ (4274)، وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

(3) الْمَرَادُ: بِعَوَاطِفِهِنَّ؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَى لِلْإِجَادَةِ وَقُوَّةِ التَّأْثِيرِ.



قِصَّةُ زُويَا رَقِيقَةَ بِنْتِ نَبَاتَةَ⁽¹⁾، وَبَلَاغَتُهَا فِي قِصَصِهَا

حَدَّثُونَا عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ مُحَمَّدٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رَبِيعٍ، وَعَنْ أَبِي حُوَيْصَةَ، قَالَ: تَحَدَّثَ مَخْرَمَةُ بْنُ نُوْفَلٍ: أَنَّ أُمَّه رَقِيقَةَ بِنْتَ نَبَاتَةَ، وَكَانَتْ لِدَّةً⁽²⁾ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَتْ:

«تَتَابَعْتُ عَلَى قُرَيْشٍ سُنُونَ أَقْحَلَتْ⁽³⁾ الضَّرْعَ، وَأَرْقَتِ الْعَظْمَ، فَبَيْنَا أَنَا رَاقِدَةٌ مَهْمُومَةٌ إِذَا بِهَا تَفِصَّيْتُ بِصَوْتٍ صَحْلٍ⁽⁴⁾، يَقُولُ:

«مَعَشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْمَبْعُوثَ مِنْكُمْ، وَهَذَا إِبْنُ نُجُومِهِ، فَحِيَّهْلَ

(1) هي رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية بنت عمّ العباس وإخوته من بني عبد المطلب، وهي والدّة مخرمة بن نوفل والد المسور، ذكرها الطبراني والمستغفري في الصحابة، وقال ابن عبد البر: «وما أراها أدركت»، أي: النبي ﷺ، وكانت سنّها قريباً من سنّ عبد المطلب بن هاشم. «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (6/ 3328)، «أسد الغابة» لابن الأثير (6/ 112)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (7/ 646).

(2) اللدة: الثّرب، أي: التّظير في السنّ.

(3) أقحلت: أبيست.

(4) صيّت: صوّت. والصحل: الحشن، أو الممتد في تحج.



بِالْحَيَا^(١) وَالْحِصْبِ، أَلَا فَانظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلًا طَوَالًا عِظَامًا، أَبْيَضَ بَضًّا، أَوْطَفَ الْأَهْدَابِ، سَهْلَ الْحَدَّيْنِ^(٢)، لَهُ سُنَّةٌ تَدْعُو إِلَيْهِ^(٣)، وَفَضْلٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ، أَلَا فَلْيَدْلِفْ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ^(٤)، أَلَا ثُمَّ لِيَسْنُوا مِنَ الْمَاءِ، وَلِيَلْتَمِسُوا الرُّكْنَ، وَلِيَرْتَقُوا أَبَا قُبَيْسٍ^(٥)، أَلَا ثُمَّ لِيَدْعُ الرَّجُلُ، وَلِيُؤْمِنَ الْقَوْمُ، أَلَا فَافْعَلُوا إِذَا مَا شِئْتُمْ.

قَالَتْ: فَأَصْبَحْتُ عَلَى ذَلِكَ مَفْرَأَةً^(٦) مَدْعُورَةً، قَدْ قَبَّ جِلْدِي، وَوَلَهُ عَقْلِي^(٧)، فَقَصَصْتُ رُؤْيَايَ، فَنِمْتُ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، فَوَالْحَرَمَةِ وَالْحَرَمِ إِنْ بَقِيَ بِهَا أَبْطَحِي إِلَّا قَالَ: هَذَا شَيْبَةُ الْحَمْدِ^(٨)، فَتَتَامَتَ عِنْدَهُ قُرَيْشٌ، وَانْقَضَّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ

(١) إِبَّانُ نَجْمِهِ، أَي: حِينَ ظَهْرِهِ، حَيْثُ بَكَدَا، أَي: عَلَيْكَ بِهِ. وَالْحَيَا: الْمَطَرُ.

(٢) الْبَصُّ: الْمُتَلَيُّ الْجَسْمِ. وَالْأَهْدَابُ: شَعْرُ أَشْفَارِ الْعُيُونِ. مَفْرَدَةٌ: هَدَبٌ. وَالْأَوْطَفُ مِنَ الْوُطْفِ، وَهُوَ كَثْرَةُ شَعْرِ الْحَاجِبِينَ وَالْعَيْنَيْنِ. وَسَهْلُ الْحَدَّيْنِ: قَلِيلُ لَحْمَهُمَا.

(٣) السُّنَّةُ: الصُّورَةُ وَالسَّيْرَةُ.

(٤) يُدْلِفُ: يَمْشِي. وَالْبَطْنُ مِنْ بَطُونِ الْعَرَبِ: مَا دُونَ الْقَبِيلَةِ.

(٥) يَسْنُوا، أَي: يَسْقُوا، وَالرُّكْنَ: لَعْلَةُ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ بِالْكَعْبَةِ. وَأَبُو قُبَيْسٍ: جَبَلٌ بِجَوَارِ مَكَّةَ.

(٦) مَفْرَأَةٌ: مَتَحِيرَةٌ مَدْهُوشَةٌ.

(٧) قَبٌّ: زَوْيٌ. وَيُرْوَى: قَفٌّ، أَي: انْكَمَشَ، وَتَجَعَّدَ. وَوَلَهُ، أَي: ذَهَبَ.

(٨) الْحَرَمَةُ: الدَّيْمَةُ، وَمَا يَجِبُ حِفْظُهُ. وَالْحَرَمُ: حَرَمُ مَكَّةَ. إِنْ بَقِيَ، أَي: مَا بَقِيَ. وَالْأَبْطَحِي: هُوَ

الْقُرَشِيُّ مِنْ مَكَّةَ خَاصَّةً. وَشَيْبَةُ الْحَمْدِ: هُوَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ جَدُّ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي كَفَلَهُ وَرَبَّاهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ.



بَطْنِ رَجُلٍ، فَتَسْنَوَا، وَالتَّمَسُّوا الرُّكْنَ، وَارْتَقَى أَبَا قَبِيْسٍ ^(١)، فَطَفِقَ الْقَوْمُ
يَدْفُونَ حَوْلَهُ مَا إِنْ يَسْتَوِسِقُهُمْ مُهْلَةٌ ^(٢) حَتَّى قَرَّ بِذُرُوتِهِ، وَاسْتَوَكُفُوا جَنَابِيهِ،
وَمَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَوْمِئِذٍ غَلَامٌ حِينَ أَيْفَعَ أَوْ هَمَّ أَوْ كُرِبَ ^(٣).

فَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ سَادَّ الْخَلَّةَ ^(٤)، وَكَاشِفَ الْكُرْبَةَ، أَنْتَ
عَالِمٌ غَيْرُ مُعَلِّمٍ، وَمَسْئُولٌ غَيْرُ مُبْخِلٍ ^(٥)، وَهَذِهِ عَبْدَاؤُكَ وَإِمَاؤُكَ بَعْدَرَاتِ
حَرَمِكَ ^(٦) يَشْكُونَ إِلَيْكَ سَنَتَهُمُ الَّتِي أَكَلْتَ الظِّلْفَ وَالْخُفَّ ^(٧)، اللَّهُمَّ وَأَمِطْرْنَا
غَيْثًا مَرِيْعًا مُغْدِقًا ^(٨)».

قَالَتْ: «فَمَا رَامُوا وَالْبَيْتَ حَتَّى انْفَجَرَتِ السَّمَاءُ بِمَائِهَا، وَكَظَّ الْوَادِي
بِشَجِيحِهِ ^(٩)، فَسَمِعْتُ شَيْخَانَ فُرَيْشٍ وَجَلَّتْهَا ^(١)، وَهِيَ تَقُولُ: هَنِئْنَا لَكَ أَبَا

(١) تتامت: أفضت. وانقض، أي: أسرع.

(٢) يدفون: يتداولون. يستوسقهم: ينظمهم. مهلة: إمهاله إياهم.

(٣) قَرَّ بذروته، أي: بأعلاه. واستوكفوا: استقظروا، أي: طلبوا نزول الغيث والمطر. أيفع: رَاهَقَ
العشرين.

(٤) الخلة: الحاجة.

(٥) غير مبخل.

(٦) عِيدَاؤُكَ، أي: عبيدك. بعذرات حرمك، أي: بأفنائها.

(٧) الظلف للبقرة والشاة وشبههما كالقَدَم للإنسان، والخُفُّ للبعير.

(٨) مريعا، أي: مخصبا. والمغدق: الكثير القطر.

(٩) راموا: برحوا. كظ الوادي، أي: ضاق بالماء لكثرتة. وشجيجه: سيله.



الْبَطْحَاءُ! أَي: عَاشَ بِكَ أَهْلُ الْبَطْحَاءِ⁽²⁾».

وَفِي ذَلِكَ تَقُولُ رَقِيقَةً:

بَشِيَّةَ الْحَمْدِ أَسْقَى اللَّهُ بِلَدَتَنَا
فَجَادَ بِالْمَاءِ جُونِي⁽⁴⁾ لَهُ سَبْلٌ
مَنْ مِّنَ اللَّهِ بِالْمَيْمُونِ طَائِرُهُ
مُبَارَكُ الْأَمْرِ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ
وَقَدْ فَقَدْنَا الْحَيَا، وَاجْلَوْذُ
فَانْتَعَشَتْ بِهِ الْأَنْعَامُ وَالشَّجَرُ
وَخَيْرٌ مِّنْ بُشْرَتِ يَوْمًا بِهِ مُضَرٌ⁽⁵⁾
مَا فِي الْأَنْامِ لَهُ شَبَهُ وَلَا خَطَرٌ⁽⁶⁾

(1) شيخان: جمع شيخ. وجلتها: عظمائها وساداتها.

(2) هم قريش مكة خاصة.

(3) الحيا: المطر الخصب. واجلوذ المطر، أي: تأخر.

(4) الجون: السحاب الأسود المُمْتَلئ مَطَرًا.

(5) الميمون طائره، أي: السعيد حظه، وهو النبي ﷺ، فعبد المطلب يستسقي به.

وَمُضَر: قبيلة من العرب.

(6) وَلَا خَطَر: ولا مِثْل له في عُلُوّه، يقصد النبي ﷺ.

والحديث أخرجه ابنُ عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (57/ 148، 149)، وابن الأثير في «أسد

الغابة» (7/ 112)، وقال: «أخرجه أبو نُعَيْم، وأبو موسى، وقال أبو موسى: هذا حديثٌ حَسَنٌ

عَالٍ».

كَلَامُ امْرَأَةِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ⁽¹⁾

أَبُو صَالِحٍ زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي صَالِحٍ الْبَلَدِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقُشَيْرِيُّ: كَانَ

(1) قال ابن عساكر: «امرأة أبي الأسود الديلي امرأةً فصيحة، خَاصَمَتْ أبا الأسود إلى معاوية»، وكنيتها: أم عوف. «تاريخ مدينة دمشق» (70 / 269)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (4 / 119).

وَأَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِي - ويقال: الدِّي - هو العَلَّامَةُ الفاضل، قاضي البصرة، واسمه: ظالم بن عمرو على الأشهر، وُلِدَ في أَيَّامِ الثُّبُوةِ، وَحَدَّثَ عَنْ عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَأَبِي بَنِي كَعْبٍ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَطَائِفَةٍ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ ابْنُهُ، وَيَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ، وَابْنُ بَرِيدَةَ، وَعُمَرُ مَوْلَى غَفَرَةَ، وَآخَرُونَ.

قال أحمد العجلي: ثقة، كان أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي النُّحُو.

وقال الواقدي: أَسْلَمَ في حياة النبي ﷺ.

وقال غيره: قاتل أبو الأسود يوم الجمل مع علي بن أبي طالب، وقد أَمَرَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بوضع شيء في النحول ما سَمِعَ اللحن.

قال: فأراه أبو الأسود ما وَضَعَ، فقال عليٌّ: ما أَحْسَنَ هذا النحو الذي نُحِوت. فَمِنْ ثَمَّ سَمِعَ النَّحْوَ نَحْوًا.

ونقل ابن داب أنَّ أبا الأسود وَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد مقتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَأَدْنَى مَجْلِسَهُ، وَأَعْظَمَ جَائِزَتَهُ. «سير أعلام النبلاء» (4 / 81، 82).



أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ مِنْ أَكْبَرِ النَّاسِ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَقْرَبِهِمْ مَجْلِسًا، وَكَانَ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِعَقْلِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بَعْدَ فَهْمٍ.

فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا، وَعِنْدَهُ وَجُوهٌ قُرَيْشٍ ⁽¹⁾، وَأَشْرَافُ الْعَرَبِ، إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ حَتَّى حَاذَتْ مُعَاوِيَةَ، وَقَالَتْ:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ خَلِيفَةً فِي الْبِلَادِ، وَرَقِيبًا عَلَى الْعِبَادِ، يُسْتَسْقَى بِكَ الْمَطَرُ، وَيُسْتَشْبَتْ بِكَ الشَّجَرُ، وَتُؤَلَّفُ بِكَ الْأَهْوَاءُ، وَيَأْمَنُ بِكَ الْخَائِفُ، وَيُرْدَعُ بِكَ الْجَانِفُ ⁽²⁾، فَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ الْمُصْطَفَى ⁽³⁾، وَالْإِمَامُ الْمُرْتَضَى؛ فَاسْأَلِ اللَّهَ لَكَ النِّعْمَةَ فِي غَيْرِ تَغْيِيرٍ، وَالْعَافِيَةَ مِنْ غَيْرِ تَعْذِيرٍ ⁽⁴⁾.

لَقَدْ الْجَأْنِي إِلَيْكَ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَمْرٌ ضَاقَ عَلَيَّ فِيهِ الْمَنْهَجُ، وَتَفَاقَمَ عَلَيَّ فِيهِ الْمَخْرَجُ لِأَمْرِ كَرِهْتُ عَارَهُ لَمَّا خَشِيتُ إِظْهَارَهُ، فَلْيُنْصِفْنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخِصَمِ، فَإِنِّي أَعُوذُ بِعَقْوَتِهِ ⁽⁵⁾ مِنَ الْعَارِ الْوَبِيلِ وَالْأَمْرِ الْجَلِيلِ الَّذِي

(1) وجوه: جمع وجه، كالوجهاء جمع: وجيه.

(2) أي: المائل الجائر.

(3) المختار.

(4) شكوى.

(5) العقوة: ما حول الدار.



يَشْتَدُّ عَلَى الْحَرَائِرِ ذَوَاتِ الْبُعُولِ الْأَجَائِرِ^(١).

فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ: وَمَنْ بَعْلُكَ هَذَا الَّذِي تَصِفِينَ مِنْ أَمْرِ الْمُنْكَرِ، وَمَنْ فَعَلِهِ الْمُسْهَرِ؟^(٢).

قَالَ: فَقَالَتْ: هُوَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ.

قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْأَسْوَدِ، مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ؟

قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: هِيَ تَقُولُ مِنَ الْحَقِّ بَعْضًا، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ عَلَيْهَا نَقْضًا، أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ طَلَاقِهَا، فَهُوَ حَقٌّ، وَأَنَا مُخْبِرٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهُ بِالصِّدْقِ؛ وَاللَّهِ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - مَا طَلَّقْتُهَا عَنْ رِبِيَّةٍ ظَهَرَتْ، وَلَا لِأَيِّ هَفْوَةٍ، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ شِمَائِلَهَا^(٣)، فَقَطَعْتُ عَنِّي حَبَائِلَهَا^(٤).

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: وَأَيُّ شِمَائِلِهَا - يَا أَبَا الْأَسْوَدِ - كَرِهْتَ؟

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ مُهَيِّجُهَا عَلَيَّ بِجَوَابِ عَتِيدٍ^(٥)، وَلِسَانٍ شَدِيدٍ.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُحَاوَرَتِهَا؛ فَارْدُدْ عَلَيْهَا قَوْلَهَا عِنْدَ

(١) البعول: الأزواج. والأجائر: جمع الجائر، أي: الظالم.

(٢) أي: المعلن في شناعة.

(٣) طباعها.

(٤) جمع حبل، وهو بمعنى التواصل.

(٥) حاضر مُهَيَّأ.



مُرَاجَعَتِهَا.

فَقَالَ أَبُو الْأَسَدِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهَا كَثِيرَةُ الصَّخْبِ، دَائِمَةُ الدَّرْبِ⁽¹⁾، مُهَيِّنَةٌ لِلْأَهْلِ، مُؤَذِيَّةٌ لِلْبَعْلِ، مُسِيئَةٌ إِلَى الْجَارِ، مُظْهِرَةٌ لِلْعَارِ؛ إِنْ رَأَتْ خَيْرًا كَتَمَتْهُ، وَإِنْ رَأَتْ شَرًّا أَذَاعَتْهُ.

قَالَ: فَقَالَتْ: وَاللَّهِ، لَوْ لَا مَكَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَحُضُورُ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَرَدَدْتُ عَلَيْكَ بَوَادِرَ⁽²⁾ كَلَامِكَ بِنَوَافِدِ أَقْرَعِ⁽³⁾ كُلِّ سِهَامِكَ، وَإِنْ كَانَ لَا يَجْمَلُ بِالْمَرْأَةِ الْخُرَّةُ أَنْ تَشْتَمَ بَعْلًا، وَلَا أَنْ تُظْهِرَ لِأَحَدٍ جَهْلًا.

فَقَالَ مُعَاوِيَةَ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ⁽⁴⁾ لِمَا أَجَبْتِهِ.

قَالَ: فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا عَلِمْتُهِ إِلَّا سَوْوَلًا جَهُولًا، مُلِحًا بِنَحْيَلًا، إِنْ قَالَ فَشَرُّ قَائِلٍ، وَإِنْ سَكَتَ فَذُو دَغَائِلٍ⁽⁵⁾، لَيْتَ حِينَ يَأْمَنُ، وَثَعْلَبُ حِينَ يَخَافُ، شَحِيحٌ حِينَ يُضَافُ، إِنْ ذُكِرَ الْجُودُ انْقَمَعَ⁽⁶⁾ لِمَا يَعْرِفُ مِنْ قِصَرِ شَأْنِهِ،

(1) الصَّخْبُ: شِدَّةُ الصَّوْتِ. وَالذَّرْبُ: بِذَاءَةِ اللِّسَانِ.

(2) جَمْعُ بَادِرَةٍ، وَهِيَ مَا يَبْدُرُ مِنَ الْحِدَّةِ وَالْغَضَبِ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ.

(3) بِنَوَافِدِ، أَي: بِحِجَجٍ نَافِذَةٍ مَاضِيَةٍ. وَأَقْرَعُ، أَي: أَضْرِبُ.

(4) أَي: أَقْسَمْتُ.

(5) جَمْعُ دَغْلٍ، وَهُوَ الْأَمْرُ الْمَفْسُدُ.

(6) انْقَهَرَ وَذَلَّ.



وَلَوْمْ آبَائِهِ، ضَيْفُهُ جَائِعٌ، وَجَارُهُ ضَائِعٌ، لَا يَحْفَظُ جَارًا، وَلَا يَحْمِي ذِمَارًا⁽¹⁾، وَلَا يُدْرِكُ ثَارًا، أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيْهِ مَنْ أَهَانَهُ، وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِ مَنْ أَكْرَمَهُ.

قَالَ: فَقَالَ مُعَاوِيَةَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، لِمَا تَأْتِي بِهِ هَذِهِ الْمَرْأَةُ مِنَ السَّجْعِ!

قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّهَا مُطْلَقَةٌ، وَمَنْ أَكْثَرُ كَلَامًا مِنْ مُطْلَقَةٍ؟!

فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةَ: إِذَا كَانَ رَوَاحًا⁽²⁾، فَتَعَالَى أَفْصَلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِالْقَضَاءِ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ الرَّوَاحُ جَاءَتْ وَمَعَهَا ابْنُهَا قَدْ احْتَضَنْتَهُ، فَلَمَّا رَأَاهَا أَبُو الْأَسْوَدِ، قَامَ إِلَيْهَا لِيَنْتَزِعَ ابْنَهُ مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةَ: يَا أَبَا الْأَسْوَدِ، لَا تَعْجَلِ الْمَرْأَةَ أَنْ تَنْطِقَ بِحُجَّتِهَا.

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا أَحَقُّ بِحَمْلِ ابْنِي مِنْهَا.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةَ: يَا أَبَا الْأَسْوَدِ، دَعَهَا تَقُلْ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَمَلْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَهُ، وَوَضَعْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَضَعَهُ.

قَالَ: فَقَالَتْ: صَدَقَ - وَاللَّهِ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَمَلَهُ خَفًا، وَحَمَلْتُهُ ثَقَلًا، وَوَضَعَهُ بِشَهْوَةٍ، وَوَضَعْتُهُ كَرْهًا؛ إِنَّ بَطْنِي لَوَعَاؤُهُ، وَإِنَّ ثَدْيِي لِسِقَاؤُهُ، وَإِنَّ حَجْرِي لِفَنَآؤُهُ.

(1) الذمار: ما تلزم حمايته.

(2) الرواح: العشي، أو من الزوال إلى الليل.



قَالَ: فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: سُبْحَانَ اللَّهِ لِمَا تَأْتِينَ بِهِ!

فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: إِنَّهَا تَقُولُ الْأَبْيَاتَ مِنَ الشَّعْرِ، فَتُجِيدُهَا.

قَالَ: فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: إِنَّهَا قَدْ غَلَبَتْكَ فِي الْكَلَامِ؛ فَتَكَلَّفَ لَهَا أَبْيَاتًا لَعَلَّكَ

تَغْلِبَهَا.

قَالَ: فَأَنْشَأَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَقُولُ:

ثُمَّ سَهْلًا بِالْحَامِلِ الْمَحْمُولِ
إِنَّ خَيْرَ النِّسَاءِ ذَاتُ الْبُعُولِ
هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْفَارِغِ الْمَشْغُولِ؟

مَرْحَبًا بِالَّتِي تَجُورُ عَلَيْنَا
أَغْلَقْتَ بَابَهَا عَلَيَّ وَقَالَتْ:
شَغَلَتْ نَفْسَهَا عَلَيَّ فَرَاغًا
قَالَ، فَأَجَابَتْهُ، وَهِيَ تَقُولُ:

قِي كَمَنْ جَارَ عَنْ مَنَارِ السَّبِيلِ
ثُمَّ حَجَرِي فَنَاوُهُ بِالْأَصِيلِ⁽¹⁾
بَدَلًا مِمَّا عَلِمْتُهُ وَالْخَلِيلِ⁽²⁾

لَيْسَ مَنْ قَالَ بِالْصَّوَابِ وَبِالْحُمِ
كَانَ ثَدْيِي سِقَاءَهُ حِينَ يَضْحِي
لَسْتُ أَبْغِي بَوَاحِدِي يَابْنَ حَرْبٍ
قَالَ، فَأَجَابَهَا مُعَاوِيَةُ:

وَسَقَاءَهُ مِنْ ثَدْيِهِ بِخَذُولِ⁽³⁾

لَيْسَ مِنْ غِذَاهُ حِينًا صَغِيرًا

(1) الأصيل: العشي.

(2) تعني «بواحدي»: ابنها. وبـ«ابن حرب»: معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَرْبٌ جَدُّهُ. والخليل: تريد النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو خليل الله.

(3) أي: بمخذول.



هِيَ أَوْلَى بِهِ وَأَقْرَبُ رُحْمًا مِنْ أَبِيهِ بِالْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ⁽¹⁾
 أُمُّهُ مَا حَنَتْ عَلَيْهِ وَقَامَتْ هِيَ أَوْلَى بِحَمَلِ هَذَا الضَّئِيلِ
 قَالَ: فَقَضَى لَهَا مُعَاوِيَةُ عَلَيْهِ، وَاحْتَمَلَتْ ابْنَهَا وَانْصَرَفَتْ⁽²⁾.



(1) وحما أي قرابة، بالوحي والتنزيل، أي: بحكم القرآن.

(2) أخرجه الضبي في «أخبار النساء الوافدات على معاوية» (ص 24، 25)، وابن عساكر

في «تاريخ مدينة دمشق» (25/202).



كَلَامُ صَفِيَّةَ بِنْتِ هِشَامِ الْمُنْقَرِيَّةِ⁽¹⁾

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ الْكُوفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو خَالِدٍ يَزِيدُ بْنُ يَحْيَى الْخَزَاعِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

«تُوفِّي الْأَحْنَفُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْعُصَيْفِرِ بِالْكُوفَةِ، وَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِذْ ذَاكَ أَمِيرًا عَلَى الْكُوفَةِ مِنْ قَبْلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: فَشِيعَ⁽²⁾ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ جَنَازَةَ الْأَحْنَفِ، فَخَرَجَ مُتَسَلِّبًا⁽³⁾ فِي قَمِيصٍ بَغِيرِ رِدَاءٍ⁽⁴⁾، وَكَانَتْ الْأَمْرَاءُ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِالسَّيِّدِ إِذَا مَاتَ.

قَالَ: فَلَمَّا دُفِنَ الْأَحْنَفُ، أَقْبَلَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ هِشَامِ الْمُنْقَرِيَّةِ عَلَى نَجِيبٍ لَهَا مُتَخَصِّرَةً⁽⁵⁾ - وَكَانَتْ بِنْتُ عَمِّ الْأَحْنَفِ - حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ، فَقَالَتْ:

(1) قال أبو عبيد البكري «سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي» (2/ 15): «سمّاها أبو طاهر ابن طيفور صفية بنت هشام المنقرية، وكانت ابنة عمّه زاد الحصري: وامرأته، وذكر لها شعراً».

(2) شِيعَ الجنازة: خرج فيها.

(3) متسلّبًا: لابسًا السّلاب، وهي الثياب السود.

(4) الرداء: الثوب فوق سائر اللباس.

(5) النَّجِيب: وصفٌ من أوصاف النّاقة الجيّدة. مُتَخَصِّرَةً، أي: بيدها مخصرة، وهي ما يُمسكه



«لِلَّهِ دَرُكٌ مِنْ مَجْنٍ فِي جَنَنِ، وَمُدْرَجٌ فِي كَفَنٍ^(١)! إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! جَعَلَ اللَّهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ، وَدَلِيلَ الرُّشْدِ دَلِيلَكَ، أَمَا وَالَّذِي أَسْأَلُهُ أَنْ يُفْسِحَ لَكَ فِي مُدْخَلِكَ، وَأَنْ يُبَارِكَ لَكَ فِي مُحْشَرِكَ، وَالَّذِي كُنْتُ مِنْ أَجَلِهِ فِي عِدَّةٍ، وَمِنْ الْكَاتِبَةِ فِي مُدَّةٍ، وَمِنْ الْأَثَرَةِ^(٢) إِلَى نِهَايَةِ، وَمِنْ الضَّمَارِ^(٣) إِلَى غَايَةِ، لَقَدْ كُنْتُ صَحِيحَ الْأَدِيمِ^(٤)، مَنِيْعَ الْحَرَمِ، عَظِيمَ السَّلَمِ، فَاضِلَ الْحِلْمِ، وَارِي الزَّنَادِ^(٥)، رَفِيعَ الْعِمَادِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمُسَوِّدًا، وَإِلَى الْمُلُوكِ لَمُوفِدًا، وَفِي الْمَحَافِلِ شَرِيفًا، وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَظُوفًا، وَكَانَتْ الْمُلُوكُ لِقَوْلِكَ مُسْتَمِيعِينَ، وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ، وَلَقَدْ عِشْتَ حَمِيدًا وَدُودًا، وَمِتَّ شَهِيدًا فَقِيدًا.

ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى النَّاسِ بَوَاجِهَهَا، فَقَالَتْ: عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ شُهُودٌ عَلَى عِبَادِهِ، وَإِنَّا لَقَائِلُونَ حَقًّا، وَمُثْنُونَ صِدْقًا، وَهُوَ أَهْلٌ لَطِيبِ الثَّنَاءِ، فَعَلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَ حَمًا

الخطيبُ إذا خطب.

(١) مجن، أي: مستور. والجنن: القبر. ومدرج: مطوى.

(٢) الأثره هنا: الحال الغير مرضية.

(٣) لعله من الضمر، وهو الهزال.

(٤) الجلد.

(٥) واري، أي: مُتَّقِد.



فَمَا كَانَ قَيْسَ هَلَكِهِ هَلَكَ وَاحِدٌ وَلَكِنَّهُ بَيْنَانُ قَوْمٍ تَهْدِمًا
 سَلَامُ امْرِئٍ أَوْدَعْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَالِمًا⁽¹⁾
 قَالَ: فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهَا، وَقَالَ فُصْحَاؤُهُمْ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا كَالْيَوْمِ
 قَطُّ - وَلَا سَمِعْنَا - أَفْصَحَ وَلَا أَبْلَغَ مِنْ هَذِهِ!

قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهَا مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَحَطَبَهَا إِلَى نَفْسِهِ، فَأَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا
 زَالَ يَتَعَاهَدُهَا⁽²⁾ بِرِّهِ حَتَّى قُتِلَ⁽³⁾.

وَحَدَّثَنَا السَّجِسْتَانِيُّ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبٍ، قَالَ: «أَتَيْتُ
 الْمَقَابِرَ، فَإِذَا أَنَا بِصَبِيَّةٍ قَدْ كَادَتْ تَخْفِي بَيْنَ قَبْرَيْنِ لَطَافَةً، وَإِذَا هِيَ تَنْظُرُ بَعَيْنِ
 جُوذَرٍ⁽⁴⁾، فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ، إِذْ بَدَتْ لَهَا كَفَّانٌ، كَأَنَّهَا لِسَانٌ طَائِرٍ بِأَطْرَافِ
 كَأَنَّهَا الْمَدَارِيُّ⁽⁵⁾، وَخِضَابٍ كَأَنَّهُ عَنَمٌ⁽⁶⁾، ثُمَّ هَبَّتِ الرِّيحُ، فَرَفَعَتْ عَنْ بُرْقَعِهَا،
 فَإِذَا بَيَاضَةٌ نَعَامٍ تَحْتَ أُمِّ رِثَالٍ⁽⁷⁾، ثُمَّ قَالَتْ:

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْتَ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ خَلَقْتَ وَالِدَيَّ

(1) زار من الزورة، بمعنى: البعد، أي: بعد. والشحط: البعد.

(2) أي: يتفقدوها ويرعاها بدون طلب منها.

(3) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (354/24).

(4) الجوذِر: ولد البقرة الوحشية، وهو حسن العينين.

(5) جمع مدرى، وهو المُشْط.

(6) العنم: شجر له ثمر أحمر يُشَبَّه به البنان المَخْضُوب.

(7) جمع رأل، وهو ولد النعام، والعرب تُشَبِّه بياض الوجه وصونه ببيض النعام المَصُون.



قَبْلِي، وَخَلَقْتَنِي بَعْدَهُمَا، فَأَنْسَتَنِي بِقُرْبِهِمَا مَا شِئْتُ، ثُمَّ أَوْحَشْتَنِي مِنْهُمَا إِذْ شِئْتُ، اللَّهُمَّ فَكُنْ لِي مِنْهُمَا مُؤْنِسًا، وَكُنْ لِي بَعْدَهُمَا حَافِظًا.

قَالَ: «فَقُلْتُ: يَا صَبِيَّةَ، أَعِيدِي لَفْظِكَ، فَلَمْ تَسْمَعْ، وَمَرْتُ فِي كَلَامِهَا، ثُمَّ أَعَدْتُ عَلَيْهَا، فَظَنَرْتُ، ثُمَّ قَالَتْ: «يَا شَيْخَ، وَاللَّهِ مَا أَنَا لَكَ بِمَحْرَمٍ»⁽¹⁾، فَتَحَادَثْنِي مُحَادَثَةً أَهْلِكَ، أَهْلُكَ أَوْلَى بِكَ».

قَالَ: «فَاسْتَخَفَيْتُ بَيْنَ الْقُبُورِ مُسْتَحِيًّا مِمَّا قَالَتْ لِي، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَيْمٌ»⁽²⁾، فَاتَيْتُ صَدِيقًا لِي، فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ لَكَ فِي أَنْ يَلِمَ اللَّهُ شَعْنَكَ»⁽³⁾، وَيَقَرَّ عَيْنَكَ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟».

قَالَ: «فَوَصَفْتُ لَهُ الْجَارِيَةَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ عَقْلِيهَا، وَسَمِعْتُ مِنْ كَلَامِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: أَبْغِضْ مِنْ مَالِكَ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَحْمَدَ»⁽⁴⁾ مَا لَكَ عَاقِبَةً.

قَالَ: «فَقَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»، فَخَرَجْنَا جَمِيعًا؛ أَنَا وَهُوَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْخَبَاءَ»⁽⁵⁾، فَإِذَا نَحْنُ بَعَمَّهَا، فَعَرَضْنَا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: «يَا هَؤُلَاءِ! وَاللَّهِ، مَا لَنَا فِي أُمُورِنَا،

(1) المحرم: ما يجب عليك حمايته، ويحل لك النظر إليه.

(2) أي: لا زوج لها.

(3) مُتَفَرِّقٌ.

(4) أفعل تفضيل من الحمد، بمعنى: الرضا.

(5) البيت من وَبَرٍ، أو صَوْفٍ، أو شَعَرٍ.



وَلَا أَنْفَسْنَا شَيْءَ مَعَهَا، فَكَيْفَ فِيهَا، وَلَكِنْ ااعْرَضُوا عَلَيْهَا مَا وَصَفْتُمْ، ثُمَّ دَخَلَ الْحَبَاءُ، فَقَالَ: «هَا هِيَ ذِي قَدْ خَرَجْتَ تَسْمَعُ مَا تَقُولُونَ».

قَالَ: «فَجَلَسْتُ خَلْفَ سَجْفٍ⁽¹⁾ لَهَا، ثُمَّ قَالَتْ: «اللَّهُمَّ حَيِّ الْعِصَابَةِ بِالسَّلَامِ، وَأَجْزِلْ لَهُمُ الثَّوَابَ فِي دَارِ الْمَقَامِ، قُلْ يَا عَمَّ»، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا عَمُّهَا، فَقَالَ: «أَيُّ مُفْدَاةٍ⁽²⁾، هَذَا عَمُّكَ، وَنَظِيرُ أَبِيكَ، وَقَدْ خَطَبَكَ عَلِي بْنُ ابْنِ عَمِّكَ نَظِيرُكَ، وَقَدْ بَذَلَ لَكَ مِنَ الصَّدَاقِ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ».

قَالَ: «فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: «يَا عَمَّ، أَضَرَّتْ بِكَ الْحَاجَّةُ حَتَّى طَمَعَتْ طَمَعًا أَخْلَ بِمُرُوءَتِكَ، أَتَزَوَّجُنِي غُلَامًا حَضَرِيًّا يَغْلِبُنِي بِفِطْنَتِهِ، وَيَصُولُ عَلَيَّ بِمَقْدَرَتِهِ، وَيَمْنُنُ عَلَيَّ بِتَفَضُّلِهِ، وَيَقُولُ: يَا هَنَةَ بِنْتَ الْهَنَةِ⁽³⁾؟! كَلَّا إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ كَرِيمٌ».

قَالَ: «فَرَجَعْنَا - وَاللَّهِ - مَدْحُوزِي⁽⁴⁾ الْحَجَّةَ مَرْدُودِينَ عَنِ الْحَاجَّةِ».

وَقَالَ الْأَصَمِيُّ: عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلَبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ امْرَأَةً تُوصِي ابْنًا لَهَا، وَأَرَادَ سَفَرًا، فَقَالَتْ: «أَيُّ بُنَيٍّ، أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ قَلِيلَهُ أَجْدَى⁽⁵⁾ عَلَيْكَ

(1) سِتر.

(2) أي: حرف لنداء القريب، أي: يا مَنْ جعلنا فِدَاكَ.

(3) هنة مؤنث هن، بمعنى: شيء، تريد الجارية أنه يُناديها بِالْفَاظِ التَّنْكِيرِ تَحْقِيرًا لَهَا.

(4) مِنْ أَدْحَضِ الْحَجَّةِ: أَبْطَلَهَا.

(5) أَفْعَلَ تَفْضِيلَ مِنَ الْجَدِّ، أَيِ: الْعَطِيَّةِ.

مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ، وَإِيَّاكَ وَالتَّمَائِمَ، فَإِنَّهَا تُورِثُ الصَّغَائِنَ، وَتَفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ، وَمِثْلَ لِنَفْسِكَ مِثَالِ مَا تَسْتَحْسِنُ لِغَيْرِكَ، ثُمَّ اتَّخِذْهُ إِمَامًا، وَمَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، فَاجْتَنِبْهُ، وَإِيَّاكَ التَّعَرُّضُ لِلْعُيُوبِ، فَتَصِيرَ نَفْسُكَ غَرَضًا⁽¹⁾، وَخَلِيقَ أَلَّا يَلْبِثَ الْغَرَضُ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ، وَإِيَّاكَ وَالبُخْلَ بِمَالِكَ، وَالْجُودَ بِدِينِكَ.

فَقَالَتْ أُعْرَابِيَّةٌ مَعَهَا: «أَسْأَلُكَ إِلَّا زِدْتَهُ يَا فُلَانَةَ، فِي وَصِيَّتِكَ».

قَالَتْ: «إِي وَاللَّهِ، وَالْعُذْرُ أَقْبَحُ مَا يُعَامَلُ بِهِ الْإِخْوَانُ، وَكَفَى بِالْوَفَاءِ جَامِعًا لِمَا تَشْتَتِ مِنَ الْإِخَاءِ، وَمِنْ جَمْعِ الْحَلِمِ وَالسَّخَاءِ، فَقَدْ اسْتَجَادَ الْحُلَّةَ⁽²⁾، وَالْفُجُورُ أَقْبَحُ حُلَّةٍ، وَأَبْقَى عَارًا⁽³⁾».

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبٍ، قَالَ: «أَضَلَلْتُ إِبْلًا لِي، فَخَرَجْتُ فِي بَغَائِهَا⁽⁴⁾، فَإِذَا أَنَا بِجَارِيَةٍ أَعَشَى - أَشْرَقَ - وَجْهَهَا بَصْرِي، فَقَالَتْ: «مَا لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ، وَمَا بُعِثْتُكَ؟»، قُلْتُ: أَضَلَلْتُ إِبْلًا لِي، فَأَنَا فِي طَلَبِهَا، فَقَالَتْ: «أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ عِلْمُهَا عِنْدَهُ»، قُلْتُ: إِذَا تَسْتَوْجِبِي الْأَجْرَ، وَتَكْتَسِبِي الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ، فَقَالَتْ: «سَلِ الَّذِي أَعْطَاكَهِنَّ - فَهُوَ الَّذِي أَخَذَهُنَّ مِنْكَ - مِنْ طَرِيقِ الْيَقِينِ لَا مِنْ طَرِيقِ الْإِخْتِبَارِ، فَإِنَّهُ إِنْ شَاءَ فَعَلَ».

(1) أي: هدفاً يرمى فيه.

(2) الحُلَّة: ثوبان، أو ثوب له بطانة، وهي كناية عن لبس الفضيلة.

(3) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (10931).

(4) طلبها.



قَالَ: «فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ عَقْلِهَا، وَسَمِعْتُ مِنْ فَصَاحَتِهَا، فَقُلْتُ لَهَا: أَلَيْكَ بَعْلٌ؟ فَقَالَتْ: «كَانَ، وَنِعَمَ الْبَعْلُ كَانَ! فَدُعِيَ إِلَى مَا لَهُ خَلْقٌ»⁽¹⁾، فَأَجَابَ، فَقُلْتُ لَهَا: «فَهَلْ لَكَ فِي بَعْلٍ لَا تُذَمُّ خِلَاتُكُ، وَلَا تُخَافُ بَوَائِقَهُ»⁽²⁾.

قَالَ: «فَاطْرَقَتْ طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَتْ:

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ فِي سَاقٍ غِذَاوُهُمَا	مَاءُ الْجَدَاوِلِ فِي رَوْضَاتِ جَنَّاتٍ
فَاجْتِثْ خَيْرُهُمَا عَنْ أَصْلِ صَاحِبِهِ	دَهْرٌ يَكْرُ بِفَرْحَاتٍ وَتَرْحَاتٍ ⁽³⁾
وَكَانَ عَاهِدُنِي إِنْ خَانَنِي زَمَنٌ	أَلَّا يَضَاجَعَ أَتْنَى بَعْدَ مَثَوَاتِي ⁽⁴⁾
وَكَنتُ عَاهِدْتُهُ أَيْضًا فَعَا جَلَهُ	رَيْبُ الْمُنُونِ قَرِيبًا مُذْ سَنِيَاتٍ
فَاصْرِفْ عِتَابَكَ عَمَّنْ لَيْسَ يَرُدُّعِهَا	عَنْ الْوَفَاءِ خِلَابَ بِالتَّحِيَّاتِ ⁽⁵⁾



(1) تعني: دعي إلى الموت، فهو مصير كل حيٍّ.

(2) جمع بائقة، من باق جاء بالشر والخسومة.

(3) اجتث: قطع، أو انتزع، يكر: يعطف.

(4) مثواتي، أي: إقامتها في القبر.

(5) عتابك، أي: موجدتك، من وجد به: أحبه. خلاب، من خلّب عقل: سلّبه.



كَلَامُ جُمُعَةٍ وَهْنَدِ بِنْتِ الْخَسِّ (1)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ الْأَعْرَابِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَافَتْ جُمُعَةٌ وَهْنَدِ بِنْتِ الْخَسِّ عُكَّازَ (2) فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَاجْتَمَعَتَا عِنْدَ الْقَلَمَسِ الْكِتَابِيِّ، فَقَالَ لَهُمَا: «إِنِّي سَأَيْلُكُمَا لِأَعْلَمَ أَيُّكُمَا أَبْطَ، وَأَظْهَرَ بَيَانًا، وَأَحْسَنَ لِلصِّفَةِ إِنْقَانًا؟». قَالَتَا: سَلْنَا عَمَّا بَدَا لَكَ، فَسَتَجِدْ عِنْدَنَا عُقُولًا ذَكِيَّةً، وَأَلْسِنَةً قَوِيَّةً، وَصِفَةً جَلِيَّةً.

قَالَ الْقَلَمَسُ: أَيُّ الْإِبِلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ؟

قَالَتْ: أَحِبُّ كُلَّ قَرَاسِيَّةٍ دُوسَرٍ، مَلَا حَكِ الْخَلْقِ عَشَنَزَرَ مَلَمَلَمٍ، مِثْلَ

(1) هما ابنتا الخس الإيادي، وقيل: هما اسمان لامرأة واحدة عاشت في الجاهلية، وأبوها من العمالق والإيادية، جاءت عنها الأمثال، وكانت معروفة بالفصاحة، ومنه المثل السائر: أين بنت الخس من فصاحة قُس. قال عنها الجاحظ: «ومن أهل الدهاء والتُّكراء، ومن أهل اللسن واللقن، والجواب العجيب، والكلام الفصيح، والأمثال السائرة، والمخارج العجيبة: هند بنت الخس، وهي الزرقاء». انظر «تاج العروس» (13/16)، «البيان والتبيين» (1/255).

(2) عكاظ: سوق من أسواق العرب كانوا يجتمعون فيه للتفاخر، وإنشاد الشعر، إلخ.



مَلُمُومَةُ الْمَرْمَرِ، ذِي شَقَشَقَةٍ مُقَرَّرٍ، مُصْعَبُ الْوَنِّ، مُدَلَّى الْمُشْفَرِّ⁽¹⁾.

قَالَ الْقَلَمْسُ: كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ؟

قَالَتْ: نِعَمَ الْجَمَلِ هَذَا فِي الشُّقَّةِ الْبَعِيدَةِ، وَالْمَسَافَةِ الشَّدِيدَةِ، وَفِي السَّبَاسِبِ الْجَدِيدَةِ⁽²⁾، وَغَيْرِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ.

قَالَ: فَقُولِي!

فَقَالَتْ: أَحِبُّ كُلَّ ذِي كَاهِلٍ رَفِيعٍ، مَلَزَزِ الْخَلْقِ جَمِيعٍ، مُحْتَمَلُ ضَلِيعٍ، يَقِلُّ الرُّغَاءُ، وَيَعْتَسِفُ الْبَيْدَاءُ، وَيَنْهَضُ بِالْأَعْبَاءِ⁽³⁾.

قَالَ الْقَلَمْسُ: كَلِّتَا كَمَا مُحْسِنَةٌ، فَأَيُّ ذُكُورِ الْإِبِلِ أَبْغَضُ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ؟

قَالَتْ: أَبْغَضُ الْقَصِيرَ الْقَامَةَ، الصَّغِيرَ الْهَامَةَ، السَّرِيعَ السَّامَةَ، الْأَجْبُ الظَّهْرَ كَالْتَّعَامَةِ.

قَالَ الْقَلَمْسُ: كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ؟

(1) الْقِرَاسِيَّةُ وَالْدُوسَرُ، أَيُّ: الضَّخْمُ الشَّدِيدُ مِنَ الْإِبِلِ خَاصَّةً. وَالْمَلَاكُ: الْجَمَلُ الشَّدِيدُ الْخَلْقِ. وَالْعَشْنَزَرُ: الشَّدِيدُ الْعَظِيمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَالْمُفْرَفَرُ: مَنْ فَرَفَرَ الْبَعِيرُ إِذَا نَفَضَ جَسَدَهُ، وَأَسْرَعَ وَخَفَّ. وَالْوَنُّ، أَيُّ: أَسْوَدَ. وَالْمُشْفَرُّ لِلْبَعِيرِ كَالشُّفَةِ لِلْإِنْسَانِ.

(2) السَّبَاسِبُ: جَمْعُ سَبَسَبٍ، وَهِيَ الْمَفَازَةُ، أَوِ الصَّحْرَاءُ.

(3) جَمِيعٍ، أَيُّ: مَجْتَمَعُ الْخَلْقِ. وَضَلِيعٌ مِنَ الضَّلَاعَةِ، وَهِيَ الْقُوَّةُ. وَالرُّغَاءُ: صَوْتُ الْبَعِيرِ. وَيَعْتَسِفُ مِنْ اعْتَسَفَ عَنِ الطَّرِيقِ: مَالَ وَعَدَلَ. وَالْأَعْبَاءُ: الْأَثْقَالُ.



قَالَتْ: وَصَفْتُ جَمَلًا غَيْرَ فَحْلٍ، وَلَا نَجِيْبٍ، وَلَا شَهْمٍ، وَلَا صَلِيْبٍ، وَلَا رَايِعٍ، وَلَا عَجِيْبٍ⁽¹⁾، وَغَيْرُهُ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهُ.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَتْ: أَبْغَضُ الضَّعِيفَ الْمُضْطَرَبَ الَّذِي كُلُّ حِمْلٍ عَلَيْهِ تَعَبٌ.

قَالَ الْقَلَمْسُ: كَلْتَاكُمَا مُحْسِنَةٌ، فَأَيُّ التُّوْقِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ؟

قَالَتْ: أَحَبُّ كُلِّ نَاقَةٍ عَلَكُومٍ، عَلْنَدَاةٍ كُتُومٍ، مِثْلَ الْجَمَلِ الْحُجُومِ، الْعَظِيمِ الْعِيْهُومِ، يَخْلُطُ بَيْنَ الشَّدِّ وَالرَّسِيمِ، فِي تِيهِ الْمَهَامَةُ وَالْدَيْمُومُ⁽²⁾.

قَالَ الْقَلَمْسُ: كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ؟

قَالَتْ: هَذِهِ صِفَةُ نَاقَةٍ صَاحِبِهَا خَلِيقٌ أَلَّا يَهْمَهُ سَفَرٌ، وَلَا يَسْبِقُهُ خَبَرٌ، وَلَا يُهَوِّلُهُ خَطَرٌ، وَلَا يَفُوتُهُ ظَفَرٌ، وَغَيْرُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَتْ: أَحَبُّهَا ضَخْمَةٌ مِثْلَ الْجَوْسَقِ، شَدْقُهَا مِثْلُ شَدْقِ التَّنَّقِ، مَدْمِجٌ، خَلَقَهَا مَوْثِقٌ، كَثِيرَةُ الْهَبَابِ، نَاجِيَةِ الدَّهَابِ، وَشَيْكَةِ الْإِيَابِ⁽³⁾.

(1) غير فحل: غير مختار. والشهم هنا: النَّشِيط والقوي. والصليب: المتين. والرَّايِع: المُعْجَب.

(2) العلكوم: الشديدة الصلبة. العلنداة: الضخم الطويلة. والعيهوم: السريعة. والرَّسيم: نوعٌ من سَيْر الإبل أقل من العدو. والمهامة: المفازة البعيدة. والديموم: الفلاة الواسعة.

(3) الجوسق: القَصْر. والمراد: عالية ضخمة. والتنق: ذَكَر النَّعَام. والهباب: الهبوب، وهو نَشَاطُ



قَالَ الْقَلَمُ: كَلْتَاكُمَا مُحْسِنَةً، فَأَيُّ ذُكُورِ الْخَيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ؟
قَالَتْ: أَحَبُّ الْمَنْسُوبِ جَدُّهُ، الْأَسِيلِ خَدُّهُ، السَّرِيعِ شَدُّهُ، الطَّوِيلِ مَدُّهُ،
الشَّدِيدِ هَدُّهُ، الْجَمِيلِ قَدُّهُ^(١).

قَالَ الْقَلَمُ: كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ؟
قَالَتْ: هَذَا فَرَسٌ خَلِيقٌ إِنْ طُلِبَ لَمْ يُلْحَقْ، وَإِنْ جُورِيَ لَمْ يُسْبَقْ، وَإِنْ
بُوْهِ لَمْ يُفَقَّ^(٢)، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ.
قَالَ: فَقُولِي!

قَالَتْ: أَحَبُّ الْوَثِيقِ الْخَلِيقِ، الْكَرِيمِ الْعِرْقِ، الْكَثِيرِ السَّبْقِ، الشَّدِيدِ الذَّلْقِ،
يَمُرُّ مِنَ الْبَرْقِ^(٣).

قَالَ: كَلْتَاكُمَا مُحْسِنَةً، فَأَيُّ إُنَاثِ الْخَيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ؟
قَالَتْ: أَحَبُّ كُلِّ حَيَّةِ الْفُؤَادِ، سُبُوحِ جَوَادِ، سَلِسَةِ الْقِيَادِ، شَدِيدَةِ
الْاعْتِمَادِ فِي الدَّفْعِ وَالْإِسْتِدَادِ، ذَاتِ هَبَابٍ وَثِمَادٍ^(٤).

كُلٌّ سَائِرٌ فِي سَيْرِهِ. نَاجِيَةٌ: سَرِيعَةٌ. وَشَيْكَةٌ الْإِيَابُ، أَيُّ: قَرِيبَتُهُ.

(١) الْأَسِيلُ: الطَّوِيلُ. شَدُّهُ، أَيُّ: عَدْوُهُ. وَهَدُّهُ: صَوْتُهُ.

(٢) جُورِي، مِنْ جَارَاهُ وَسَابَقَهُ. بُوْهِ، مِنْ بَاهَاهُ. فَآخَرَهُ.

(٣) الْوَثِيقُ: الْمُحْكَمُ. وَالْعِرْقُ هُنَا: الْأَصْلُ. وَالذَّلْقُ: الْإِنْطِلَاقُ.

(٤) جَوَادُ، أَيُّ: بَيِّنَةُ الْجُودَةِ. وَحَيَّةٌ: نَبِيْهَةٌ. وَسُبُوحُ، أَيُّ: سَرِيعَةٌ فِي لِينٍ كَأَنَّهَا تَسْبَحُ. وَالْهَبَابُ، أَيُّ:



قَالَ الْقَلَمُسُ: كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ؟

قَالَتْ: هَذِهِ فَرَسٌ صَاحِبُهَا خَلِيقٌ أَلَّا يَفُوتُهُ أَمْرٌ، وَلَا يَهْوُلُهُ دُعْرٌ، إِذَا شَاءَ كَرَّ، وَإِذَا هَابَ فَرَّ، وَغَيْرُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَتْ: أَحِبُّ الشَّدِيدَ أَسْرَهَا، الْبَعِيدَ صَبْرَهَا، الْقَلِيلَ فِتْرَهَا، الْجَمِيلَ قَدْرَهَا، السَّرِيعَ مَرَّهَا، الْمُخَوِّفَ كَرَّهَا⁽¹⁾.

قَالَ الْقَلَمُسُ: كَلِمَاتُكُمْ مُحْسِنَةٌ، فَأَيُّ ذُكُورِ الْخَيْلِ أَبْغَضُ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ؟

قَالَتْ: أَبْغَضُ كُلَّ بَلِيدٍ، وَارِمِ الْوَرِيدِ، ذَا وَكَالٍ شَدِيدٍ⁽²⁾، لَا يُنْجِيكَ هَارِبًا، وَلَا تَظْفَرُ بِهِ طَالِبًا، وَلَا يَسْرُكُ شَاهِدًا وَلَا غَائِبًا.

قَالَ الْقَلَمُسُ: كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ؟

قَالَتْ: هَذَا فَرَسٌ إِمْسَاكُهُ بَلَاءٌ، وَعِلَاجُهُ عَنَاءٌ، وَرُكُوبُهُ شَقَاءٌ، وَغَيْرُهُ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهُ.

قَالَ: فَقُولِي!

الهُبوب. والْتِمَادُ مِنَ التَّمَدُّ، وَهِيَ السَّمِينَةُ.

(1) الْأَسْرُ: الْمَفَاصِلُ. وَالْفِتْرُ: الْفُتُورُ.

(2) الْوَرِيدُ: عِرْقٌ فِي الْعُنُقِ. وَالْوَكَالُ: سُوءُ السَّيْرِ، أَوْ فُتُورُهُ.



قَالَتْ: أَبْغِضُ السَّرِيعَ الْبَهْرَ، الْبَطِيءَ الْحَصْرَ، السَّكِيْتَ الظَّفَرَ⁽¹⁾.

قَالَ الْقَلَمْسُ: كَلْتَاكُمَا مُحْسِنَةٌ، فَأَيُّ الْمَعزَى أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ؟

قَالَتْ: أَحَبُّ ذَاتِ الزَّيْمَتَيْنِ⁽²⁾، الْمَنْفُوحَةُ الْجَنَبَيْنِ، الْمَذَكَّرَةُ الْقَرْنَيْنِ،

الدَّقِيقَةُ الطَّبِيئَيْنِ⁽³⁾، تَرْوِي الْوَلَدَيْنِ، وَتُشِيعُ أَهْلَ الْبَيْتَيْنِ.

قَالَ الْقَلَمْسُ: كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ؟

قَالَتْ: هَذِهِ عَنزُ رَجُلٍ خَلِيقٌ أَنْ تَمْتَلِيَّ أَوْطَابُهُ⁽⁴⁾، وَيَدُومَ شَرَابُهُ، وَيَخْصَبُ

أَصْحَابُهُ، وَغَيْرُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَتْ: أَحَبُّ ذَاتِ الصَّرَعِ الْعَرِيضِ، ثَقِيلٌ فِي الرِّبِيضِ، مُتَرَعٌ يَفِيضُ، لَيْسَ

بِمَنْزُوفٍ وَلَا مُغِيضٍ⁽⁵⁾.

قَالَ: كَلْتَاكُمَا مُحْسِنَةٌ، فَأَيُّ السَّحَابِ أَحْسَنُ فِي عَيْنِكَ يَا جُمُعَةُ؟

(1) البهر: انقطاع النَّفَسِ من التعب. والحصر: ارتفاع الفرس في عدوه. السَّكِيْتُ: صيغة مبالغة من السكوت. والظفر: الوثوب في ارتفاع.

(2) الزنمتان: مثنى زنمة، وهي ما يلي شحمة الأذن من العنز.

(3) الطبيان: مثنى طيبة، والمراد بها: الحلمة.

(4) الأوطاب، جمع وطب، وهو سقاء اللبن.

(5) الربيض: مَرَبُضُ الْغَنَمِ، أَي: مَجْتَمَعُهَا. ومترع: ممتلى. والمنزوف: المنزوح. والمغيض، من غاض الماء: إِذَا جَفَّ.



قَالَتْ: أَحِبُّ كُلَّ رَكَامٍ مُلْتَقَفٍ، أَسْحَمَ رَجَافٍ مَسْفٍ، يَكَادُ يَمَسُّهُ مَنْ قَامَ بِالْكَفِّ ⁽¹⁾.

قَالَ: كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ؟

قَالَتْ: وَصَفْتُ سَحَابًا مُسْتَرْخِي الْعِزَالِي، كَثِيرَ التَّهَاطُلِ، غَزِيرَ السَّجَالِ ⁽²⁾، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَتْ: أَحِبُّ كُلَّ صَبِيرٍ دَلَّاحٍ، مُثَعْنَجِرٍ نَضَّاحٍ، مُتَجَاوِبٍ النَّوَاجِي، كَأَنَّ بَرَقَهُ ضَوْءُ مُصْبَاحٍ ⁽³⁾.

قَالَ الْقَلَمُسُ: كِلْتَاكُمَا مُحْسِنَةٌ، فَأَيُّ النِّسَاءِ أَحَبُّ إِلَيْكِ يَا جُمُعَةُ؟

قَالَتْ: أَحِبُّ الْغَرِيرَةَ الْعِزْرَاءَ، الرُّعْبُوبَةَ الْعَيْطَاءَ، الْمَمْكُورَةَ اللَّفَّاءَ، ذَاتَ الْجَمَالِ وَالْبَهَاءِ، وَالسَّتْرَ وَالْحَيَاءَ، الْبَضَّةَ الرَّخْصَةَ، كَأَنَّهَا فَضَّةٌ بَيْضَاءُ ⁽⁴⁾.

(1) الرُّكَامُ الْمُلتَفُّ: السَّحَابُ الْمُتْرَاكِمُ. وَالْأَسْحَمُ: الْأَسْوَدُ مِنْ كَثْرَةِ مَائِهِ. الرَّجَافُ: الْمُضْطَرِبُ بِالمَاءِ. وَمَسْفٍ، مِنْ أَسْفَتِ السَّحَابَةِ: إِذَا دَنَتْ مِنَ الْأَرْضِ.

(2) الْعِزَالِي: جَمْعُ عِزْلَاءَ: مَصْبِ الْمَاءِ. وَالسَّجَالُ: الْأَنْصَابُ.

(3) الصَّبِيرُ: السَّحَابَةُ الْكَثِيفَةُ. وَالدَّلَاحُ: الْكَثِيرَةُ الْمَاءِ. وَالْمُثَعْنَجِرُ: الَّتِي يَسِيلُ مِنْهَا الْمَاءُ.

(4) الْغَرِيرَةُ: الطَّاهِرَةُ الْخُلُقِ. وَالرُّعْبُوبَةُ: الْبَيْضَاءُ الْحَسَنَةُ النَّاعِمَةُ. وَالْعَيْطَاءُ: الطَّوِيلَةُ الْعُنُقِ. وَالْمَمْكُورَةُ: الْمُسْتَدِيرَةُ السَّاقِينَ. وَاللَّفَّاءُ: الضَّخْمَةُ الْفَخْزِينَ. وَالْبَضَّةُ: الرَّقِيقَةُ الْجِلْدِ. وَالرَّخْصَةُ: النَّاعِمَةُ.



قَالَ: كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ؟ قَالَتْ: وَصَفْتُ جَارِيَةً هِيَ حَاجَةٌ الْفَتَى، وَنَهِيَةُ الرِّضَاءِ، وَغَيْرُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَتْ: أَحِبُّ كُلَّ مُشْبَعَةِ الْخُلْحَالِ، ذَاتِ شَكْلٍ وَدَلَالٍ، وَظَرْفٍ وَبَهَاءٍ وَجَمَالٍ.

قَالَ الْقَلَمُسُ: كَلْتَاكُمَا مُحْسِنَةٌ، فَأَيُّ النِّسَاءِ أَبْغَضُ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ؟

قَالَتْ: أَبْغَضُ كُلَّ سَلْفَعٍ بَذِيَّةٍ، جَاهِلَةٍ غَبِيَّةٍ حَرِيصَةٍ دَنِيَّةٍ، غَيْرِ كَرِيمَةٍ وَلَا سَرِيَّةٍ، وَلَا سِتِيرَةٍ وَلَا حَيَّةٍ⁽¹⁾.

قَالَ: كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ؟

قَالَتْ: وَصَفْتُ امْرَأَةً صَاحِبَهَا خَلِيقٌ أَلَّا تَصْلَحَ لَهُ حَالٌ، وَلَا يَنْعَمَ لَهُ بَالٌ، وَلَا يُثْمِرَ لَهُ مَالٌ، وَغَيْرُهَا أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهَا.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَتْ: أَبْغَضُ الْمُتَعَجِّرَةَ الشَّوْهَاءَ، الْمَنْفُوحَةَ الْكَبْدَاءَ، الْعَنْفَصَ الْوَقْصَاءَ، الْحَمْشَةَ الزَّلَّاءَ، الَّتِي إِنْ وَلَدَتْ لَمْ تُنَجِّبْ، وَإِنْ زُجِرَتْ لَمْ تُعْتَتَبْ، وَإِنْ تُرِكَتْ طَفِقَتْ تَصْخَبُ⁽²⁾.

(1) السَّلْفَعُ: السَّيْئَةُ الْخُلُقُ. وَالسَّرِيَّةُ: ذَاتُ الْمُرُوءَةِ فِي شَرَفٍ.

(2) الْمُتَعَجِّرَةُ: الْهَزِيلَةُ الْمُضْطَرِبَّةُ. وَالْمَنْفُوحَةُ، مِنْ نَفْحِ الْعِرْقِ: نَزَى مِنْهُ الدَّمُ. وَالْكَبْدَاءُ: الْمَرِيضَةُ.

وَالْعَنْفَصُ: الْقَلِيلَةُ الْحَيَاءِ. وَالْوَقْصَاءُ: الْقَصِيرَةُ الْعُنُقُ. وَالْحَمْشَاءُ: الدَّقِيقَةُ السَّاقِينَ.



قَالَ الْقَلَمُ: كَلْتَاكُمَا مُحْسِنَةٌ، فَأَيُّ الرِّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ؟

قَالَتْ: «أَحِبُّ الْخُرَّ النَّجِيبَ، السَّهْلَ الْقَرِيبَ، السَّمْعَ الْحَسِيبَ، الْفَطْنَ الْأَرِيبَ، الْمَصْقَعَ⁽¹⁾ الْخَطِيبَ، الشُّجَاعَ الْمَهِيبَ.

قَالَ الْقَلَمُ: كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ؟

قَالَتْ: وَصَفْتُ رَجُلًا سَيِّدًا جَوَادًا، يَنْهَضُ إِلَى الْخَيْرِ صَاعِدًا، وَيَسْرُكُ غَائِبًا وَشَاهِدًا، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَتْ: أُحِبُّ الرَّحْبَ الدَّرَاعَ، الطَّوِيلَ الْبَاعَ، السَّخِيَّ النَّقَّاعَ، الْمَنِيعَ الدَّفَاعَ، وَالْدَّهْمِيَّ الْمُطَاعَ، الْبَظْلَ الشُّجَاعَ، الَّذِي يَحُلُّ بِالْيَفَاعِ، وَيُهِنُ فِي الْحَمْدِ الْمَتَاعَ⁽²⁾.

قَالَ: كَلْتَاكُمَا مُحْسِنَةٌ، فَأَيُّ الرِّجَالِ أَبْغَضُ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ؟

قَالَتْ: أَبْغَضُ السَّالَةَ اللَّثِيمَ، الْبَغِيزَ الزَّئِيمَ، الْأَشْوَهَ الدَّمِيمَ، الظَّاهِرَ

والزلاء: الخفيفة الوركين. تعتب، من اعتتب: رجع عن أمرٍ كانت فيه. والصخب: شدة الصوت.

(1) المصقع: الجهوري الصوت في فصاحة وثبات.

(2) النَّقَّاع: صيغة مبالغة في كثرة النَّفْع. والدهمي: الكريم. واليفاع: العلو. ويُهين في الحمد

المتاع، أي: يُهين ماله ببذله إِيَّاهُ في اكتساب الحمد.



العَصُوم، الضَّعِيف الحِزُوم⁽¹⁾.

قَالَ: كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ؟

قَالَتْ: ذَكَرْتَ رَجُلًا خَطَرُهُ صَغِيرٌ، وَخَطْبُهُ يَسِيرٌ، وَعَيْبُهُ كَثِيرٌ، وَأَنْتَ بُبْغُضِهِ جَدِيرٌ، وَغَيْرُهُ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهُ.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَتْ: أَبْغَضُ الضَّعِيفَ الثُّخَاعَ⁽²⁾، الْقَصِيرَ الْبَاعَ، الْأَحْمَقَ الْمِضْيَاعَ، الَّذِي لَا يُكْرَمُ وَلَا يُطَاعَ.

قَالَ الْقَلَمِسُ: كَلْتَاكُمَا مُحْسِنَةٌ، فَهَلْ تَقُولَانِ مِنَ الشَّعْرِ شَيْئًا؟
قَالَتَا: نَعَمْ.

قَالَ: فَقُولِي يَا جُمُعَةُ! فَقَالَتْ:

أَشَدُّ وَجْهِ الْقَوْلِ عِنْدَ ذَوِي الْحِجَى	مَقَالَةُ ذِي لُبٍّ يَقُولُ فَيُوجِزُ
وَأَفْضَلُ غَنَمٍ يَسْتَفَادُ وَيُبْتَغِي	ذَخِيرَةَ عَقْلِ يَحْتَوِيهَا وَيُحْرِزُ
وَحَيْرٌ خِلَالِ الْمَرءِ صِدْقُ لِسَانِهِ	وَلِلصِّدْقِ فَضْلٌ يَسْتَبِينُ وَيَبْرُزُ
وِإِنْ جَارَكَ الْمَوْعُودَ مِنْ سَبَبِ الْغِنَى	فَكُنْ مُوفِيًّا بِالْوَعْدِ تُعْطَى وَتُنْجِزُ

(1) السَّالَةُ: كَثِيرُ السُّؤَالِ. وَالزَّنِيم: الْمَعْرُوفُ بِاللُّؤْمِ وَالشَّرِّ، أَوِ الدَّاعِي فِي نَفْسِهِ. وَالْعَصُوم: الْأَكُول.

وَالْحِزُوم: الصَّدْر.

(2) الثُّخَاع: مُخَّ الْعَظْمِ، وَضَعْفُهُ يَكُونُ مِنْ ضَعْفِ الْبَنِيَةِ.



وَلَا خَيْرَ فِي حَرِيرِيكَ بِشَاشَةٍ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْطِغْ سِيَاسَةَ نَفْسِهِ
وَكَمْ مِنْ وَقُورٍ يَقْمَعُ الْجَهْلُ حُلْمَهُ
وَكَمْ مِنْ أَصِيلِ الرَّأْيِ طَلَقَ لِسَانَهُ
وَأَخْرَ مَأْفُونٍ يُلُوكُ لِسَانَهُ
وَكَمْ مِنْ أَخِي شَرٌّ قَدْ أَوْثَقَ نَفْسَهُ
يَفِرُّ الْفَتَى وَالْمَوْتُ يَطْلُبُ نَفْسَهُ
قَالَ الْقَلَمُسُ: قَدْ أَحْسَنْتِ يَا جُمُعَةَ، فَقُولِي يَا هِنْدُ، فَقَالَتْ:

وَجَدْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ فِي الْحُكْمِ نَافِعٌ
وَلَيْسَ الْفَتَى عِنْدِي بِشَيْءٍ أَعْدُهُ
وَذُو الْجُبْنِ مِمَّا يُسَعِّرُ الْحَرْبَ نَفْخُهُ
وَكَمْ مِنْ كَثِيرِ الْمَالِ يَقْبِضُ كَفَّهُ
وَكَمْ مِنْ صَغِيرٍ نَزْدَرِيهِ لَعَلَّهُ
وَكَمْ مِنْ مُرَاءٍ ذِي صَالِحٍ وَعِفَّةٍ
ذَوِي الطُّولِ مِمَّا قَدْ يُعَمُّ وَيُلْبَسُ
إِذَا كَانَ ذَا مَالٍ مِنَ الْعَقْلِ مُفْلِسُ
يُهَيِّجُ مِنْهَا نَارَهَا ثُمَّ يُخْنِسُ⁽³⁾
وَكَمْ مِنْ قَلِيلِ الْمَالِ يُعْطِي وَيُسْلِسُ
يُهَيِّجُ كَبِيرًا شَرُّهُ مُتَبَجِّسُ⁽⁴⁾
يَخَاتِلُ بِالتَّقْوَى هُوَ الذُّبُّ الْأَمْلَسُ⁽⁵⁾

(1) يجمز، من الجمز: وهو ضربٌ من ضروب العدو.

(2) المأفون: الضَّعِيفُ الْعَقْلُ وَالرَّأْيِ. نوكا، أي: حمقًا.

(3) يخنس: يتأخر.

(4) متبجس: نابع متفجر.

(5) مرء، أي: مُحَادَع، وَالْأَمْلَسُ: الصَّحِيحُ الظَّهَرُ، وَالذُّبُّ مَشْهُورٌ بِالْخِدَاعِ.



وَأَخْرَظِي طَمْرِينَ صَاحِبِ نِيَّةٍ يَجُودُ بِأَعْمَالِ التَّقَى ثُمَّ يُنْفِسُ⁽¹⁾
وَكَمْ مِنْ سَفِيهِ لِلْجَمَاعَةِ مُفْسِدٌ يَدِبُّ لِشَرِّ بَيْنِهِمْ وَيُوسُوسُ
وَذُو الظُّلْمِ مَذْمُومٌ النَّشَاطَاهِرُ الْخَنَا غَنِيٌّ عَنِ الْحُسْنَى وَبِالشَّرِّ يَعْرِسُ⁽²⁾
قَالَ الْقَلَمُ: قَدْ أَحْسَنْتُمَا، فزِيديني يَا جُمُعَةُ، فَقَالَتْ:

رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا كَأَحْلَامِ نَائِمٍ وَكَالْفِيءِ يَدْنُو ظِلُّهُ ثُمَّ يَقْلُصُ⁽³⁾
وَكُلُّ مُقِيمٍ فِي الْحَيَاةِ وَعَيْشِهِ بِلَا شَكٍّ يَوْمًا أَنَّهُ سَوْفَ يَشْخَصُ⁽⁴⁾
يَفِرُّ الْفَتَى مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ وَالرَّدَى وَلِلْمَوْتِ حَتْفٌ كُلُّ حَيٍّ سَيَغْفَصُ⁽⁵⁾
أَتَاهُ حِمَامُ الْمَوْتِ يَسْعَى بِحَتْفِهِ وَقَدْ كَانَ مَغْرُورًا بِدُنْيَا تَرْبِصُ⁽⁶⁾
كَأَنَّكَ فِي دَارِ الْحَيَاةِ مُخَلَّدٌ وَقَدْ بَانَ مِنْهَا مِنْ مَضَى وَتُقَنَّصُوا⁽⁷⁾
لَقَدْ أَفْسَدَ الدُّنْيَا وَعَيْشَ نَعِيمِهَا فَجَائِعُ تَتَرَى تَعْتَرِي وَتُنْغَصُ
أَلَا رَبَّ مَرزُوقٍ بَغِيرٍ تَكْلُفُ وَآخِرَ مَحْرُومٍ يَجِدُّ وَيَحْرُصُ
فَقَالَتْ هِنْدُ:

(1) الطمر: الثوب البالي. وينفس: يفرج الكرب.

(2) النشا: ما أخبرت به عن الرجل. ويعرس: يلازم.

(3) الفيء: ما كان شمسًا، فينسخه الظل.

(4) يشخص: يرتحل. والمراد: ارتحال الموت.

(5) سيغفص، أي: سيأخذه فجأة.

(6) حمام الموت: قضاؤه وقدره الخاص به.

(7) بان منها: فارقتها، وتقنصوا، من قنصه: صاده.



لَقَدْ أَيقَنْتَ نَفْسَ الْفَتَى غَيْرَ بَاطِلٍ
وَيَشْرَبُ بِالْكَأْسِ الدُّعَافِ شَرَابَهَا
وَكَمِ مِنْ أَخِي دُنْيَا يُنَمِّرُ مَالَهُ
عَلَيْكَ بِأَفْعَالِ الْكِرَامِ وَلِيْنِهِمْ
وَلَا تَكُ مَزَاحًا لَدَى الْقَوْمِ لُعْبَةً
تُخَوِّضُ بِجَهْلٍ سَادِرًا فِي فُكَاهَةٍ
أَلَا رَبَّ ذِي حَظٍّ يُبْصِرُ فِعْلَهُ
وَإِنْ عَاشَ حِينًا أَنَّهُ سَوْفَ يَهْلِكُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ الْمَوْتِ كَرهًا وَيُسْلِكُ⁽¹⁾
سَيْرَتُ ذَاكَ الْمَالِ رَغْمًا وَيُتْرَكُ
وَلَا تَكُ مَشْكَاسًا تَلِجُ وَتَمَحُكُ⁽²⁾
تَظَلُّ أَخَاهُ زُءً بِنَفْسِكَ يَضْحَكُ
وَتَدْخُلُ فِي غِيِّ الْغَوَاةِ وَتُشْرِكُ⁽³⁾
وَأَخْرَ مَصْرُوفٍ وَفِي الْحَظِّ يُؤْفِكُ⁽⁴⁾
فَقَالَ: أَحْسَنْتُمَا، وَأَجْمَلْتُمَا، فَبَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا! وَوَصَلَّيْهُمَا وَحَبَاهُمَا.

(1) الدُّعَافُ: السُّمُّ.

(2) تلج: تخاصم.

(3) السَّادِرُ: الذي لا يُبَالِي بما صَنَعَ.

(4) يُؤْفِكُ، من الإفك، وهو ضَعْفُ الْعَقْلِ.



كَلَامُ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي ذِكْوَانَ فِي مَجْلِسِ مُعَاوِيَةَ

قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَكِ الْهَدَادِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَوَانَةَ، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ التَّمِيمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، قَالَ:

«حَضَرْتُ مُعَاوِيَةَ يَوْمًا، وَقَدْ أَذِنَ لِلنَّاسِ إِذْنًا عَامًّا، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ لِمَظَالِمِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ، فَدَخَلَتِ امْرَأَةٌ كَأَنَّهَا قَلْعَةٌ، وَمَعَهَا جَارِيتَانِ لَهَا، فَحَدَرْتُ ⁽¹⁾ اللَّثَامَ عَنْ لَوْنٍ، كَأَنَّمَا أَشْرَبَ مَاءَ الدُّرِّ ⁽²⁾ فِي حُمْرَةِ الثَّقَاجِ، ثُمَّ قَالَتْ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ - يَا مُعَاوِيَةُ - الَّذِي خَلَقَ اللِّسَانَ فَجَعَلَ فِيهِ الْبَيَانَ، وَدَلَّ بِهِ عَلَى النَّعَمِ، وَأَجْرَى بِهِ الْقَلَمَ، فِيمَا أَبْرَمَ وَحَتَّمْ، وَدَرَأَ وَبَرَأَ ⁽³⁾، وَحَكَمَ وَقَضَى، صَرَفَ الْكَلَامَ بِاللُّغَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ عَلَى الْمَعَانِي الْمُتَفَرِّقَةِ، أَلْفَهَا بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأَخِيرِ، وَالْأَشْبَاهِ وَالْمَنَاقِيرِ، وَالْمُوَافَقَةِ وَالتَّزَايُدِ، فَأَدَّتْهُ الْأَذَانُ إِلَى الْقُلُوبِ، وَأَدَّتْهُ الْقُلُوبُ إِلَى الْأَلْسُنِ بِالْبَيَانِ؛ اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى الْعِلْمِ، وَعُغِدَ بِهِ الرَّبُّ، وَأُبْرِمَ بِهِ الْأَمْرُ،

(1) من الحدر، وهو الخطُّ من علو إلى أسفل.

(2) أي: خالطه ماء اللؤلؤ.

(3) درأ: دفع. وبرأ: خلق.



وَعُرِفَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ، وَتَمَّتْ بِهِ النَّعْمُ.

فَكَانَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ: أَنْ قَرَّبَتْ زِيَادًا⁽¹⁾، وَجَعَلَتْ لَهُ بَيْنَ آلِ سُفْيَانَ نَسَبًا، ثُمَّ وَلَّيَتْهُ أَحْكَامَ الْعِبَادِ، يَسْفِكُ الدَّمَاءَ بِغَيْرِ حِلِّهَا، وَلَا حَقَّهَا، وَيَهْتِكُ الْحَرَمَ بِلَا مُرَاقَبَةِ اللَّهِ فِيهَا، خَوْفٌ غَشُومٌ، كَافِرٌ ظُلُومٌ، يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَعَاصِي أَعْظَمَهَا، لَا يَرَى لِلَّهِ وَقَارًا، وَلَا يَظُنُّ أَنَّ لَهُ مَعَادًا، وَغَدًا يُعْرَضُ عَمَلُهُ فِي صَحِيفَتِكَ، وَتُوقَفُ عَلَى مَا اجْتَرَمَ⁽²⁾ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّكَ، وَلَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْوَةٌ، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُ صِهْرٌ⁽³⁾، فَلَا الْمَاضِينَ مِنَ أُمَّةِ الْهُدَى اتَّبَعْتَ، وَلَا طَرِيقَتَهُمْ سَلَكَتَ.

(1) هو زياد بن أبي سفيان، ويقال: زياد بن أبيه. وزياد بن سُمَيَّة؛ وكان يقال له قبل الاستلحاق: زياد بن عُبيد الثقفي. وأُمُّهُ سُمَيَّةٌ جارية الحارث بن كعدة. ويكنى أبا المغيرة. ليست له صُحْبَةٌ وَلَا رِوَايَةٌ. وكان رجلًا عاقلًا في دنياه داهية خطيبًا، له قدر وجلالة عند أهل الدنيا.

صار مع عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاستعمله على بعض أعماله فلم يزل معه إلى أن قُتِلَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانخلع الحسنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاستلحقه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وولاه العراقين جَمَعَهُمَا لَهُ. ولم يزل كذلك إلى أن تُوفِّيَ بالكوفة، وهو أمير المِصْرَيْنِ في شهر رمضان لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه سنة ثلاث وخمسين، وصَلَّى عليه عبدُ الله بن خالد بن أسيد كان قد أَوْصَى إِلَيْهِ بذلك. انظر «الاستيعاب» (2/ 523، 524).

(2) أجرم.

(3) فمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخو أمِّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بنت أبي سُفْيَانَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



جَعَلَتْ عَبْدَ ثَقِيفٍ ⁽¹⁾ عَلَى رِقَابِ أُمِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، يُدَبِّرُ أُمُورَهُمْ وَيُسْفِكُ دِمَاءَهُمْ، فَمَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ يَا مُعَاوِيَةَ، وَقَدْ مَضَى مِنْ أَجَلِكَ أَكْثَرُهُ، وَذَهَبَ خَيْرُهُ، وَبَقِيَ وَزْرُهُ ⁽²⁾؟!

إِنِّي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي ذَكْوَانَ وَثَبَّ زِيَادُ الْمُدَعِّي إِلَى أَبِي سُفْيَانَ عَلَى ضِيْعَتِي؛ وَرِثْتُهَا عَنْ أَبِي وَأُمِّي، فَغَضَبْنِيهَا، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، وَقَتَلَ مَنْ نَارَعَهُ فِيهَا مِنْ رَجَالِي، فَأَتَيْتُكَ مُسْتَصْرِحَةً، فَإِنْ أَنْصَفْتَ وَعَدَلْتَ، وَإِلَّا وَكَلْتُكَ ⁽³⁾ وَزِيَادًا إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَلَنْ تَبْطُلَ ظِلَامَتِي عِنْدَكَ وَلَا عِنْدَهُ، وَالْمُنْصِفُ لِي مِنْكُمْ حَكَمٌ عَدْلٌ.

فُبِهَتْ مُعَاوِيَةُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مُتَعَجِّبًا مِنْ كَلَامِهَا، ثُمَّ قَالَ: مَا لَزِيَادٍ؟! لَعَنَ اللَّهُ زِيَادًا! فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَبْعَثُ عَلَى مِثَالِهِ ⁽⁴⁾ مَنْ يَنْشُرُهَا، وَعَلَى مَسَاوِيهِ مِنْ يُثِيرُهَا. ثُمَّ أَمَرَ كَاتِبَهُ بِالْكِتَابِ إِلَى زِيَادٍ يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهَا مِنْ حَقَّهَا، وَإِلَّا صَرَفَهُ مَذْمُومًا مَدْحُورًا، ثُمَّ أَمَرَ لَهَا بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَعَجَبَ مُعَاوِيَةُ، وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ مِنْ مَقَالَتِهَا وَبُلُوغِهَا حَاجَتَهَا ⁽⁵⁾.

(1) تريد زيادًا.

(2) إثمه.

(3) تركتك.

(4) معائبه.

(5) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (282/70).



كَلَامُ أُمِّ سِنَانِ بِنْتِ خَيْثَمَةَ بْنِ خَرْشَةَ⁽¹⁾

قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمَدِينِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ حُذَافَةَ، قَالَ:

«حَبَسَ مَرْوَانَ بْنُ الْحَكَمِ غُلَامًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ فِي جَنَائَةٍ جَنَاهَا بِالْمَدِينَةِ، فَأَتَتْهُ جَدَّةُ الْغُلَامِ أُمُّ أَبِيهِ، وَهِيَ أُمُّ سِنَانِ بِنْتُ خَيْثَمَةَ بْنِ خَرْشَةَ الْمَذْحِجِيَّةِ، فَكَلَّمَتْهُ فِي الْغُلَامِ، فَأَغْلَظَ لَهَا مَرْوَانُ، فَخَرَجَتْ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَانْتَسَبَتْ لَهُ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِكِ يَا بِنْتَ خَيْثَمَةَ! مَا أَقْدَمَكَ أَرْضِي، وَقَدْ عَاهَدْتُكِ تَشْنِئِينَ⁽²⁾ فُرِّي، وَتَحْضِينَ⁽³⁾ عَلَيَّ عَدُوِّي؟!»

قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَخْلَاقًا ظَاهِرَةً، وَأَعْلَامًا

(1) هي أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية، من أهل المدينة، شاعرة، وفدت على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُتَظَلِّمَةً من عامله على المدينة. جاء ذِكْرُ خبرها في «تاريخ دمشق» (70 / 247)، و«الجليس الصالح» لأبي الفرج النهرواني (ص 740)، و«طبائع النساء» (1 / 229).

(2) تُبْغِضِينَ.

(3) تَحْضِينَ.



ظَاهِرَةً لَا يَجْهَلُونَ بَعْدَ عِلْمٍ، وَلَا يَسْفَهُونَ بَعْدَ حِلْمٍ، وَلَا يَتَعَقَّبُونَ ⁽¹⁾ بَعْدَ عَفْوٍ،
فَأُولَى النَّاسِ بِاتِّبَاعِ سُنَنِ ⁽²⁾ آبَائِهِ لَأَنْتِ».

قَالَ: صَدَقْتَ، نَحْنُ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ قَوْلُكَ ⁽³⁾:

«عَزَبَ الرُّقَادُ ⁽⁴⁾ فَمُقَلَّتِي مَا تَرَقُدُ وَاللَّيْلُ يَصْدُرُ بِالْهُمُومِ وَيُورِدُ
يَا آلَ مُذَحْجٍ لَا مَقَامَ فَشَمُّرُوا إِنَّ الْعَدُوَّ لَآلٍ أَحْمَدَ يَقْصِدُ
هَذَا عَلَيَّ كَالِهَلَالِ تَحْفُهُ وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَكِبِ أَسْعِدُ
خَيْرُ الْخَلَائِفِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ وَكَفَى بِذَلِكَ لِمَنْ شَنَاهُ تَهْدُدُ ⁽⁵⁾
مَا زَالَ مُدَّ عَرَفَ الْحُرُوبِ مُظَفَّرًا وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يُفْقَدُ؟

قَالَتْ: كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ بِكَ خَلَفًا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ الْقَائِلَةُ أَيْضًا:

إِنَّمَا هَلَكْتَ أَبَا الْحُسَيْنِ فَلَمْ تَزَلْ بِالْحَقِّ تُعْرِفُ هَادِيًا مَهْدِيًا
فَاذْهَبْ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا دَعَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ حِمَامَةٌ قَمْرِيًّا

(1) مِنْ تَعَقُّبِهِ: أَخَذَهُ بِذَنْبٍ كَانَ مِنْهُ.

(2) جَمْعُ سُنَّةٍ، وَهِيَ الْعَادَةُ وَالطَّرِيقَةُ.

(3) يُذَكِّرُهَا بِقَوْلِهَا فِي الْحَرْبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ كَانَتْ هِيَ مَعَ

عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(4) أَيُّ: بَعْدَ النَّوْمِ.

(5) شَنَاهُ: أَبْغَضَهُ.



قَدْ كُنْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ خَلْفًا لَنَا أَوْصَى إِلَيْكَ بِنَا فَكُنْتَ وَفِيًّا
فَالْيَوْمَ لَا خَلْفَ نَأْمُلُ بَعْدَهُ هَيْهَاتَ نَمْدَحُ بَعْدَهُ إِنْسِيًّا

قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لِسَانُ نَطَقَ، وَقَوْلُ صَدَقَ، وَلَيْنَ تَحَقَّقَ فِيكَ مَا ظَنَّنَا، فَحَظُّكَ أَوْفَرُ، وَاللَّهِ مَا أَوْرَثَكَ الشَّيْءَ⁽¹⁾ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هَؤُلَاءِ، فَادْحَضْ مَقَالَتَهُمْ، وَأَبْعِدْ مَنْزِلَتَهُمْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ازْدَدْتَ بِذَلِكَ مِنَ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قُرْبًا، وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ حُبًّا.

قَالَ: وَإِنَّكَ لَتَقُولِينَ ذَلِكَ؟

قَالَتْ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! وَاللَّهِ، مَا مِثْلُكَ مَنْ مُدِحَ بِبَاطِلٍ، وَلَا اعْتَذِرَ إِلَيْكَ بِكَذِبٍ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِنَا، وَضَمِيرِ قُلُوبِنَا، كَأَنَّ - وَاللَّهِ - عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ غَيْرِهِ إِذْ كُنْتَ بَاقِيًّا.

قَالَ: مِمَّنْ؟

قَالَتْ: مِنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ.

قَالَ: وَبِمَ اسْتَحَقَّقْتَ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا؟

قَالَتْ: بِحُسْنِ حِلْمِكَ، وَكَرِيمِ عَفْوِكَ.

قَالَ: وَإِنَّهُمَا لَيَطْمَعَانِ فِيَّ؟

قَالَتْ: «هُمَا - وَاللَّهِ - لَكَ مِنَ الرَّأْيِ عَلَى مِثْلِ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ لِعُثْمَانَ



قَالَ: وَاللَّهِ، لَقَدْ قَارَبْتُ، فَمَا حَاجْتُكَ؟

قَالَتْ: إِنَّ مَرَّوَانَ بْنَ الْحَكَمِ تَبَنَكَ ⁽¹⁾ بِالْمَدِينَةِ تَبَنَكَ مَنْ لَا يُرِيدُ الْبَرَّاحَ مِنْهَا؛ لَا يَحْكُمُ بَعْدَ، وَلَا يَقْضِي بَسْنَةً، يَتَّبِعُ عَثَرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَكْشِفُ عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، حَبَسَ ابْنَ ابْنِي، فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَأَلْقَمْتُهُ أَخْشَنَ مِنَ الْحَجَرِ، وَالْعَقْتُه أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي بِاللَّائِمَةِ، فَأَتَيْتُكَ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - لِتَكُونَ مِن أَمْرِي نَازِرًا، وَعَلَيْهِ مُعَدِّيَا ⁽²⁾.

قَالَ: صَدَقْتَ، لَا أَسْأَلُكَ عَنْ ذَنْبِهِ، وَلَا عَنْ الْقِيَامِ مُجْتَبِيهِ؛ اكْتُبُوا لَهَا بِإِخْرَاجِهِ.

قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْتَى لِي بِالرَّجْعَةِ، وَقَدْ نَفَذَ زَادِي، وَكَلَّتْ رَاحِلَتِي. فَأَمَرَ لَهَا بِرَاحِلَةٍ مُوْطَأَةٍ ⁽³⁾، وَخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ⁽⁴⁾.



(1) أقام.

(2) مُعِينًا نَاصِرًا.

(3) مُهَيَّئَةً.

(4) أخرجه الضبي في «أخبار الوافدات على معاوية» (ص 23)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»